أنتِ ملكة

لمحات من حقوق المرأة في الاسلام

هبة حلمي الجابري

شبكة الألوكة
www.alukah.net

إهداء

إلى كل فتاة وامرأة عانت وما زالت تعاني، لمجرد كونها أنثى باسم الدين.

إلى كل فتاة وامرأة سلبها المجتمع حقوقها وأصبحت في نظره مواطنة من الدرجة الثانية.

.إلى كل فتاة وامرأة خدعها من يزعمون نصرتها وتحريرها -إما جهلا وإما عن عمد- بأن الإسلام يظلم المرأة ويحرمها من حريتها فأثاروا الكثير من الشبهات.

إلى كل فتاة وامرأة تريد أن تعرف حقوقها ومكانتها في الإسلام من مصادر الشرع وسيرة نبيها وليس من أعداء الدين الذين شوهوا الإسلام .إلى كل هؤلاء.

أهديهن هذه الكلمات

لتعرف كل أنثى أنها ملكة في ظل الإسلام.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الفهرس

المقدمة ٤

دعيهم في الظلام وهيا إلى نور الاسلام ٦

ملكة منذ الطفولة ١١

ملكة وأنت عروس ٢٥

ملكة في مملكة الزوجية ٣٧

كيف تذهبين لب الرجل الحازم ٨١

ملكة لها حقوق حتى عند الطلاق ١١١

المطلقة قبل الدخول بها ١٢٠

المطلقة بعد الدخول بها ١٢٢

الأم وما أدراك ما الأم ١٣٠

الخاتمة ١٥٢

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الكريم الذي أنعم علينا بدين رفع مكانة المرأة، وأكرمها بما لم يكرمها به دين سواه، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين والذي أوصى بالمرأة فقال: (رفقًا بالقوارير)، فالمرأة في الإسلام ملكة متوجة؛ الجميع مأمور برعايتها والقيام على شئونها، وفي نفس الوقت هي ملكة حانية على رعاياها جميعًا يغمرهم عطفها وحنانها وحرصها عليهم، لها قدرها عند العالمين ومحمية من أيدي العابثين، ولكنها لا تبخل ولا تمنع عطاءها عن كل من حولها.

فلتحضر كل منا تاجها وتضعه على رأسها لنبدأ حديثنا الممتد ونقترب فيه من عالم المرأة نبين حقيقته التي قد تغيب عن البعض، نمسح دموعهن ونعيد البسمة إلى شفاههن، ولتفخر جميع المسلمات لأنهن يعشن تحت راية الإسلام.

ومهما اختلف شكل التاج الذي اختارته كل منا معبرًا عن ذوقها وشخصيتها، ستظلين ملكة لك تاجك الذي يميزك. حتى عندما نشعر بلهيب الصرخات المكتومة الذي يكاد يحرق قلوب بعض النساء حزنًا، لن ننسى للحظة أنك ملكة، فما أكثر الصرخات المكتومة الموجعة داخل قلوب وعقول كثير من النساء، فهيا نقترب من صاحبة إحدى هذه الصرخات ولنسمع شكواها، والتي تقول فيها:

"ماذا أقول؟ فقد لا تعبر الكلمات عن آلامي لكن دون ريب يشعر بها البعض، فأنا أشعر بالاختناق والحيرة، تلك الحيرة التي جعلتني أحيانا والعياذ بالله أتشكك في ديني، فأنا لا أشعر أن للمرأة قيمة في الإسلام، وكل المميزات إنما هي للرجل، أنا في الإسلام مواطنة ليست في الدرجة الثانية بل أنا في ذيل القائمة، وما يتردد عن حقوق

شبكة الألوكة
www.alukah.net

المرأة في الإسلام لا أجد له أثرًا على أرض الواقع بل هو مجرد كلمات وشعارات فحسب".

لعلنا بدأنا نسمع هذه العبارات كثيرا من نساء وفتيات، خصوصًا مع وجود من يدس السم في العسل في وسائل الإعلام المختلفة، يحاولون ارتداء لباس الحمل الوديع والناصح الأمين المحب؛ فيُلبسون الحق بالباطل ليبينوا أن النساء مظلومات في الإسلام، فيثيرون شبهات عديدة مثل:

- أن ميراث المرأة نصف ميراث الرجل.
- وأن الملائكة تلعن الزوجة لو نامت وزوجها عليها غضبان
- ولا تخرج الزوجة من البيت إلا بإذن زوجها ولا تصوم إلا بإذنه.

وغيرها الكثير من الشبهات التي يحاولون من خلالها تدمير الإسلام.

ولكن المشكلة الأكبر ليست فيمن يدس السم في العسل، بل فيمن يسمح لهم بتلويث أفكاره والتشكيك في دينه وتعاليمه؛ وذلك لأنه لم يفهم دينه بالشكل الصحيح ولم يفهم هذه النصوص بوجهها الصحيح.

وبعض الأمور لا يعذر المسلم بالجهل فيها لأنه لابد أن يبحث ويتعلم دينه بشكل صحيح، فيتجرع ذلك السم دون أن يتأكد من مصدر ما يقدم له، ولا من علم من يتحدث، وحسن نيته بتصديقه لكلامهم لا يعفيه من المسئولية.

فهيا بنا يا ملكتي نمر سريعا على بعض هذه الشبهات والأفكار، لنكتشف حقيقتها، هيا لتزيحي عن نفسك القلق وتريحيها من التفكير.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

(١)

دعيهم في الظلام وهيا إلى

نور الإسلام

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ما هو شعورك عندما تلدين بنتا؟

- ○ تفرحين فهي نعمة من الله
- ○ تفرحين ولكن تتمنين لو كانت ولدا
- ○ تحزنين وتتمنين الولد

قد تتباين المشاعر وقد نقول شيئا بألسنتنا ولكننا نتمنى حقيقة شيئا آخر.

فهيا بنا نطوف بين بعض البيوت لنعيش لحظات استقبال طفل يملأ الدنيا بهجة وفرحا فتتعالى الضحكات فرحًا واستبشارًا وتتسابق القلوب - حتى ولو لم ينطق اللسان - لتسأل أصبي أم فتاة، فإذا كان صبيًا هلل الجميع فرحين مباركين مهنئين، وإن كانت أنثى فهنا تتفاوت المشاعر وتختلف ردود الأفعال.

يقول الله تعالى في سورة النحل واصفا حال الناس في الجاهلية عندما يبشرون بالأنثى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (٥٨) يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٥٩)﴾.

تخيلن قسوة مشاعر أب يأخذ فلذة كبده التي ما أجرمت ولا أذنبت فيدفنها في التراب وهي حية! ذنبها الوحيد أنها أنثى! رغم البشرى وما تحمله من جمال وروعة إلا إن وجهه يتحول للسواد مباشرة ويعلوه الحزن.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

تخيلن الصورة معي: رجل يتوارى من الناس خجلا من أن يعرفوا أنه قد رزق بأنثى، تقتله الحيرة أيدفنها في التراب أم يتركها لتعيش ويعيش هو بالهوان والعار!

هل رأيتن طريقة تفكير كثير من الرجال وقتها ومشاعرهم! بل وتفكير بعض النساء أيضا للأسف!

هل تعرفن متى بدأ وأد البنات؟ ولماذا؟

هيا بنا نعود بالزمان لنعرف كيف بدأ هذا الظلم في حق الفتيات البريئات.

كان أول من فعل ذلك قيس بن عاصم وكان من وجوه قومه، ومن ذوي المال، وسبب قتله لبناته أن النعمان بن المنذر غزا بني تميم بجيش فقام الجيش فسبوا ذراريهم، فأنابه القوم وسألوه أن يحرر أسراهم فخيّرَ النعمان النساء الأسيرات فمنهن من اختارت أبوها فردّها لأبيها ومن اختارت زوجها ردّها لزوجها فاخترن آباءهن وأزواجهن، إلا ابنة قيس بن عاصم فاختارت الذي أسرها فأقسم قيس بن عاصم أنه لا يولد له ابنة إلا قتلها فكان يقتلهن».

وبدأت الجاهلية الفكرية و الأخلاقية والإنسانية تظهر على سطح الأرض، سلوك معوج، وتفكير معوج ومشاعر معوجة، يقول الله عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾[1].

[1] [الأنعام: ١٣٧]

شبكة الألوكة
www.alukah.net

فهذه هي حقيقة قتل البنات أفكار شيطانية قبيحة وإلا فكيف لإنسان أن يقتل قرة عينه وفلذة كبده، وبضعة منه؟! ولكن طبيعة الإنسان أن يزين أفعاله الخاطئة ويلتمس لنفسه الأعذار ويخلق المبررات ليضع إطارا جذابا لأفكاره المنحرفة، فوضعوا مبررات منها:

- أن الأنثى قد تكون سببا للخزي والعار لأبيها.
- أنها تؤثر زوجها على أبيها بعد الزواج.
- أنها قد تتزوج من قبيلة أخرى ثم تصبح هذه القبيلة من الأعداء فبالتالي هي تنجب أبناء يعتبروا في عداد الأعداء.
- ولا دور لها في القبيلة.
- قد تؤسر ويظل أسرها وصمة عار في حق أهلها.
- لو مات والدها قد تعاني من الفقر والحاجة وهذا عار للأب.

كلها مبررات عجيبة تدل على سفاهة العقول، يقول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾[٢]، أي "قد خسر وهلك الذين قتلوا أولادهم لضعف عقولهم وجهلهم، وحَرَّموا ما رزقهم الله كذبًا على الله. قد بَعُدوا عن الحق، وما كانوا من أهل الهدى والرشاد. فالحلال ما أحلَّه الله، والحرام ما حَرَّمه الله، وليس لأحد مِن خَلْقه فردًا كان أو جماعة أن يشرع لعباده ما لم يأذن به الله"[٣].

[٢] [الأنعام: ١٤٠]
[٣] التفسير الميسر

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ويقول الله عز وجل في سورة التكوير: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ(٨)﴾، نعم ماذا جنيت وماذا أذنبت أيتها المسكينة؟

وها نحن نرى البعض ما زال يعيش في تلك الجاهلية، ويرى أن البنت عار، فإذا بشر بالأنثى يسود وجهه وهو حزين، نرى تلك الجاهلية في أمثال توارثتها الأجيال، مثل: "عقربتين في حيط ولا بنتين في بيت"، أو من يقول: " لما قالوا بنية وقع الحيط عليا"، ونتعجب أكثر عندما نسمعها من امرأة تربت على تلك النظرة الجاهلية وهي تقول: "يا مخلفة البنات يا شايلة الهم للممات"، أو تحزن إذا ولد لابنها أنثى وتنسى أنها نفسها أنثى! والطامة الكبرى عندما تُنزع الرحمة من القلوب ونسمع من يقول عندما تتوفى له فتاة: "موت البنت سترة"، وكأنه كان يتمنى وأدها، لم يختلف تفكيره كثيرا عن أهل الجاهلية.

للأسف نجد هذه النماذج كثيرا بين الرجال ، بل نسمعها أحيانا من أفواه بعض النساء، فلا تحزني ملكتي من أفكار وأفعال هؤلاء السفهاء حين تولد البنات ريحانة البيوت، ونور العيون، فالإسلام وتعاليمه من أفعالهم براء.

هيا ارفعي رأسك ولا تسمعي كلام هؤلاء، دعيهم في جاهليتهم يعيشون في الظلام، وهيا إلى نور الإسلام.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

(٢)

ملكة

منذ الطفولة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

هيا أيتها الملكة نذهب إلى بيت يشع فيه نور الإسلام الذي أزال الجاهلية من النفوس ورفع مكانة الأنثى في العالمين لنرى نظرتهم للأنثى فهم يعرفون أنها قد تكون طريقهم للجنة، يعرفون أن الإسلام جاء ليضع حدًا للظلم الواقع عليها بوأدها وسلب الحياة التي وهبها الله لها بغير ذنب ولا جريمة؛ فجَرَّم وحرم هذه الفِعلة الشنيعة.

يشعرون أن الأنثى تولد ويولد معها البسمة والبهجة واللمسات الحانية والدلال في البيت، يفرحون بولادة الأنثى كفرحتهم بولادة الذكر بل أكثر.

قال صالح بن أحمد : كان أبي إذا ولد له ابنة يقول : **الأنبياء كانوا آباء بنات .** ويقول : **قد جاء في البنات ما قد علمت .**

وقال يعقوب بن بختان : "**ولد لي سبع بنات ، فكنت كلما ولد لي ابنة دخلت على أحمد بن حنبل فيقول لي : يا أبا يوسف ، الأنبياء آباء بنات" .**

يفعلون ذلك لأن هذه الفطرة السوية وهذه هي تعاليم الإسلام، الإسلام الذي أعطى الكثير من الكنوز لمن رزق بالبنات.

فما هي بعض الكنوز التي أكرم الله بها من رزق بالبنات واعتنى بهن؟

عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «**إنَّ الله حرَّم عليكم عقوق الأمهات، وَمَنْعاً وهات، ووَأد البنات، وكَرِهَ لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال**»[٤]،

[٤] رواه البخاري

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ووأدَ البنات هو دفن البنات وهن أحياء.

ها هو الإسلام يحمي البنات ويعطيهن الحق في الحياة ويحرم أي فعل يسلب هذا الحق!

بل نجد في الحديث لمسة أخرى فيها تكريم الأنثى في الإسلام، فقد حرم أيضا عقوق الأمهات، تلك البنت التي حرم وأدها ستكبر وتصبح أماً، وسيظل تكريمنا لها فحرام على أبنائها أي عقوق، بل تعامل بكل معاني الإحسان والبر والعرفان.

هل تراك اكتفيت؟ هل ارتوى قلبك؟ وهل اكتفى بذلك؟

بل جاء معتنياً بهن، ليصحح مسار البشرية ويعيد إليها الإنسانية والرحمة، ويكرم البنات ويحفظ حقوقهن، وأمر بالإحسان إليهن، ووعد من يرعاهن ويحسن إليهن بالأجر الجزيل والمنزلة العالية، فجعل الإحسان لهن سببا لدخول الجنة وما أعظمها من جائزة نعيش من أجلها !

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «دخلتْ امرأةٌ معها ابنتانِ لها تسأَل (فقيرة)، فلم تجدْ عندي شيئًا غيرَ تمرةٍ، فأَعطيتُهَا إيَّاها، فَقَسَمَتْهَا بينَ ابنتيْها ولم تأكُلْ منها، ثم قامتْ فخرجتْ، فدخلَ النبيُّ ﷺ علينا فأخبرته، فقال: من ابْتُلِي من هذهِ البناتِ بشيءٍ كُنَّ لهُ سِترًا من النار»[٥].

أي: جعَلَهنَّ اللهُ وِقايةً له مِن عَذابِ النَّارِ يومَ القيامةِ.

فلتسعد كل أنثى بالبشرى التي بُشر بها من رزق بالبنات.

[٥] رواه البخاري

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ما أسعدنا معاشر النساء عندما نقرأ الحديث ونرى كيف أن الإسلام يعلي من شأن البنت: يرفع قيمتها ليغير تفكير الرجل، ويعدّل قيمه الفكرية، ويحرك مشاعره من خلال تحريك أهدافه العليا؛ فرغبة الحماية من النار رغبة قوية عند أي مسلم.

وقد ورد هذا المعنى في حديث آخر أيضا؛ فعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَنْ كان له ثلاث بنات فصبرَ علَيْهِنَّ، وأطعَمَهُنَّ وسقاهُنّ، وكساهُنَّ مِنْ جِدَتِهِ (سعته وطاقته)، كُنَّ لَهُ حجاباً مِن النارِ يومَ القيامة»[٦].

ولكن النبي ﷺ وضع شرطا وقيدا للستر من النار وهو الإحسان إلى البنت فليس المطلوب مجرد أن أربيها وأطعمها وأداويها وأوفر لها سبل المعيشة؛ المطلوب الإحسان وهو المبالغة في المعاملة الطيبة.

ما أجمله من دين يجعل الإحسان إليك جنة من النار ويحض على المبالغة في حسن التعامل معك بالحنو، والرحمة ودفء المشاعر والاحتواء والتفهم والتقبل والإحسان؛ لأن البنت بطبيعتها ضعيفة ورقيقة المشاعر فتحتاج إلى تعامل كله لين وشفقة وليس قسوة وغلظة.

وقد فسر العلماء كلمة الإحسان على أنه ليس الواجب تجاه البنات ولكن ما يزيد عن مقدار الواجب، فهو عناية فوق العناية، رعاية فوق الرعاية.

ولَمَ العجب ألستِ ملكة متوجة؟!

[٦] رواه ابن ماجه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ما معنى الابتلاء في الحديث ؟

لعل كلمة لفتت انتباهك في الحديث وأثارت في نفسك بعض التساؤلات، فالبعض عندما يقرأ قول النبي ﷺ: (من ابتلي من هذه البنات بشيء) يقول: إن الإسلام يعتبر البنت بلاء!

رويدك أيتها الملكة، لو كان عندك يقين وثقة أن الإسلام أعلى شأنك ورفع قدرك، لو كان عندك ثقة هاجر في ربها عندما قالت لزوجها نبي الله إبراهيم وقد تركها وابنها في أرض لا زرع فيها ولا ماء ولا بشر: يا إبراهيم، إلى من تتركنا ها هنا في هذا الوادي الذي ليس فيه أنيس ولا شيء؟! وهو لا يجيبها ولا يلتفت إليها، حتى قالتْ: **آللهُ أمرَكَ بهذا؟** قال: **نعم**، قالتْ: **إذًا لا يضيِّعنا.**

هذا اليقين يجعلنا نوقن أن من أعلى شأنها ورفع الظلم عنها لن يجعلها ابتلاء أبدا، وإنما القصور قد يكون في عدم فهم معنى بعض كلمات اللغة العربية، أو قد يكون القصور بسبب عدم قراءة الموقف كاملا، أو غيرها من الأسباب.

المهم ثقتي في ديني وربي ورسولي الذي لا ينطق عن الهوى، المهم رفضي أن يرفع أحدهم عني تاجي الثمين ليعطيني تاجًا مزيفًا، فلن يعطيك أحد أبدًا مثل ما أعطاك ربك الكريم.

لا تقنطي ولا تستسلمي فليس معنى الابتلاء كما تظنين فاسمعي مني ما يهدىء نفسك ويذهب روعك؛ فرغم أن الابتلاء ليس دائما يكون بالشر، قال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[٧].

[٧] [الأنبياء:٣٥]

شبكة الألوكة www.alukah.net

وإذا كان من عادة الناس الرغبة في الذكور، فإن الرزق بالبنات نعمة وخير واختبار، فابتلي هنا ليس معناها البلاء والمصيبة، وإنما ابتلي هنا معناها من قُدِّر له أن يكون له بنات، فهي من باب الاختبار هل يشكر الله على هذه النعمة وهل يحسن إليهن؟ فكم من بنت أصلح من ذكر وأنفع.

ننتقل لحديث آخر يؤكد على هذا المعنى بتفصيل أكبر فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَن كان له ثلاثُ بناتٍ يُؤدِّبُهنَّ ويرحَمُهنَّ ويكفُلُهنَّ وجَبَت له الجنَّةُ ألبتةَ، قيل يا رسولَ اللهِ: فإن كانتا اثنتينِ؟، قال: وإن كانتا اثنتين، قال: فرأى بعضُ القوم أن لو قال: واحدةً، لقال: واحدة»[٨].

أنت هدية ونعمة واختبار لوالديك فهل سيحسنون إليك فتكونين لهم سترًا من النار؟

تأملي في جملة وجبت له الجنة، فكري في معنى الوجوب!، ترى ما هو إحساسك عندما تعرفين إن إحسان تربيتك ورحمة والديك لك وحسن تأديبك وحسن كفالتك يوجب الجنة للوالدين؟

وربنا سبحانه وتعالى من أسمائه الوهاب، فعندما يهبك شيئا فهو عطية وهدية من غير حول منك ولا قوة، نعم أنت هبة، قال الله تعالى: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾[٩].

[٨] رواه أحمد وصححه الألباني

[٩] [الشورى: ٤٩]

شبكة الألوكة www.alukah.net

ربنا سبحانه وتعالى يصف إنجاب البنت بأنه هبة من الله، مثل أن إنجاب الولد هبة من الله، والهبة دائمًا تكون في الخير، فهذا شرف كبير للأنثى يستحق أن تشكر ربها الوهاب عليه، وخير للأب يجب أن يستشعره ويشكر الله عز وجل عليه.

فكيف لهؤلاء المتشبعين بأفكار الجاهلية أن يعتبروا إنجاب البنات مصيبة وقد وصفها الله بالهبة؟

هل يكفيك هذا؟

بالطبع يكفي ولكن فضل الله لا ينضب، فمن يرغب أن يكون بصحبة النبي ﷺ يوم القيامة؟

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن عالَ جارِيَتَيْنِ حتَّى تَبْلُغا، جاءَ يَومَ القِيامَةِ أنا وهو وضَمَّ أصابِعَهُ»[١٠].

هل سمعتِ البشرى؟ لن يدخل الجنة فقط بل سيكون بصحبة النبي ﷺ في الجنة.

ولكن انتبهي فالبشرى مرتبطة بأمر: **(من عال)** أي يقدم لهن كل ما يحتجن إليه من الكسوة، والطعام والشراب، والسكن والفراش، ونحو ذلك. وليس هذا فقط بل العناية بهن بالتعليم والتهذيب والتوجيه، والأمر بالخير، والنهي عن الشر، وحسن المعاملة.

[١٠] رواه مسلم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

فماذا عن الذي لم يرزقه الله ببنات هل فاته الأجر ؟

عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَن عال ابنتينِ أو ثلاثًا، أو أختينِ أو ثلاثًا، حتَّى يَبِنَّ (ينفصلن عنه بتزويج أو موت)، أو يموتَ عنهنَّ كُنْتُ أنا وهو في الجنَّةِ كهاتينِ - وأشار بأُصبُعِه الوسطى والَّتي تليها»[١١].

إن الأخت قد تكون لأخيها طريقا للجنة إن أحسن لها.

لم يفته الأجر مادام لديه أخت خصوصًا لو مات الوالد وأصبح مسئولًا عنها، فليضعها في عينيه لينال كل ما فات من الفضل، ويكون بصحبة النبي ﷺ في الجنة.

هل عرفت الآن كيف كرمك الإسلام؟

أنت مكرمة في الإسلام سواء كنتِ ابنة أو أختا.

أنت ملكة، هناك من هو ملزم برعايتك والقيام بأمورك إما أب وإما أخ.

أنت أيتها الملكة بشرى لوالديك بالجنة وسترا لهما من النار، وسببا في مرافقة النبي ﷺ في الجنة إن أحسنا إليك، ولم يظلماك قولا وفعلا، وعاملاك بما يرضي الله تعالى عز وجل ورسوله، وأشعراك أنك عزيزة، ورفقًا بك وأدركًا لرقة مشاعرك واحتياجك إلى اللمسات الحانية، فحق لك أن تصاني في العيون والقلوب وتنالي كل الحب والعناية.

[١١] رواه ابن ماجه وصححه الألباني

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وليكون حكمك عادلا، إذا استشكل عليك أمر أو عبارة؛ لابد أن تعرفي كيف كان النبي ﷺ يتعامل في هذا الأمر، فهو قدوتنا، نسير على هديه لننجو، هو النموذج الفعلي والتفسير العملي لآيات القرآن وتعاليم الدين.

لمحات سريعة من معاملة النبي ﷺ لبناته

لقد كان يحب ابنته فاطمة، فتصف أمنا عائشة رضي الله عنها بعض لمحات هذه العلاقة الرائعة فتقول: " **كانت إذا دخلت عليهِ قامَ إليها فأخذَ بيدِها وقبَّلَها وأجلسَها في مجلسِه** " رواه ابو داود

تخيلن والنبي ﷺ بنفسه - رغم عظم قدره، رغم هيبته في نفوسنا جميعا - عندما تدخل عليه ابنته يقوم من مكانه ويستقبلها ويقبلها ويجلسها مكانه !!!!

هل ارتفعت دقات قلوبكن وأنتن تتخيلن ذلك الحب والرحمة والإحسان والاهتمام والتقدير والحفاوة؟

هذا هو شأنك في الإسلام، هذا هو ما تستحقينه من حفاوة في الإسلام، هذا هو نبيك وقدوتك وهذا هو دينك.

نعم فأنت ملكة في الإسلام، و حق لكل أب أن يجعل ابنته ملكة ويحسن إليها كما كان يفعل النبي ﷺ، بل وكان يأتمن ابنته على أسراره، فقد كان سر النبي ﷺ مع ابنته فاطمة رضي الله عنها، عن عائشة رضي الله عنها قالت: «**أقبلت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشي النبي ﷺ لا تخطئ مشيتها مشيته، فقام إليها النبي**

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ﷺ، قام إليها وقال: (مرحباً بابنتي) ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم أسر إليها حديثاً فبكت، فقلت لها: لم تبكين؟ ثم أسر إليها حديثاً فضحكت، فقلت: ما رأيت كاليوم فرحاً أقرب من حزنٍ، فسألتها عما قال، فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ، حتى قبض النبي ﷺ فسألتها فقالت: أسر إليَّ إن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة وإنه عارضني العام مرتين ولا أراه إلا حضر أجلي وإنك أول أهل بيتي لحاقاً بي فبكيت، فقال: أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة أو نساء المؤمنين فضحكت لذلك»[١٢].

هل رأيتن تلك العلاقة الرائعة التي كلها حب ومودة وصداقة وترابط وألفة ؟!

ما هذه إلا لمحات سريعة وتزخر السيرة النبوية بمواقف تدل على حنو النبي ﷺ ببناته، والإحسان إليهن.

نجدها في عنايته ﷺ بهن في مرضهن حتى في أشد الأوقات، وما أدراك ما غزوة بدر! إنها اللقاء الأول بين المسلمين ومشركي مكة، إنها يوم الفرقان، وما كان لعثمان أن يتأخر عنها، ولكنه أمر رسول الله ﷺ المحب لابنته، المشفق عليها؛ فعندما أراد الخروج لبدر أمر عثمان بن عفان رضي الله عنه أن يبقى عند زوجته رقية بنت الرسول ﷺ لأنها كانت مريضة .

فعن ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قال : **وَأَمَّا تَغَيُّبُهُ - أي : عثمان بن عفان - عَنْ بَدْرٍ ، فَإِنَّهُ كَانَتْ تَحْتَهُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - وهي : رقية - وَكَانَتْ مَرِيضَةً ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ لَكَ أَجْرَ رَجُلٍ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا وَسَهْمَهُ»**[١٣].

[١٢] رواه البخاري
[١٣] رواه البخاري

شبكة الألوكة
www.alukah.net

نلمسها في رقة النبي ﷺ لابنته الغائبة عنه زينب ، والشفاعة في إطلاق زوجها المأسور عند المسلمين، فقد قدر الله تعالى أن يكون أبى العاصي بن الربيع من جملة أسرى المشركين في غزوة بدر، وهو صهر النبي عليه الصلاة والسلام ، وزوجته في مكة، وهي بنت النبي عليه الصلاة والسلام، وإذا بالنبي عليه الصلاة والسلام يفاجأ أن ابنته زينب رَضِي اللَّه عَنْها بعثت القلادة التي أهدتها إليها أمها خديجة يوم زفافها، بعثت بهذه القلادة إلى النبي ﷺ لعله يأخذها ، ويفك صهره من الأسر ، فلما رأى النبي ﷺ القلادة رقّ لها رقةً شديداً ، لقد أثارت القلادة في قلبه الشريف ذكريات زوجته السيدة خديجة رَضِي اللَّه عَنْها وبكى، فقال عليه الصلاة والسلام لأصحابه وهو النبي القائد في تواضع: **(إن رأيتم أنتم أن تطلقوا لها أسيرها ، وتردوا عليها مالها فافعلوا إن شئتم) ، فقالوا : نعم يا رسول الله.**

نراها واضحة مع أمامة بنت أبي العاص رضي الله عنها، حفيدة النبي ﷺ من ابنته زينب رضي الله عنها، وأبوها أبو العاص بن الربيع رضي الله عنه، وقد تُوفيت أمّها زينب وهي صغيرة، لتعيش مع جدّها ﷺ الذي اهتم بها اهتماماً كبيرا، وأحبّها حباً شديدا، وكان يخصّها بالهدايا، ويأخذها معه إلى المسجد، ويحملها على عاتقه وهو يُصلّي.

إنه مثال عملي من النبي ﷺ يوضح كيف أن الإسلام كرمك قولا وفعلا، رفع شأنك، جعلك تفتخرين بكونك أنثى، فاستشعري أنك ملكة؛ لأنك سبب لستر والديك من النار، وسبب لدخولهما الجنة، وسبب لمرافقتهما للنبي ﷺ في الجنة.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

فإذا مات والدك انتقلت الرعاية لوليك أخوك أو عمك، نعم، ستظلين تحت الرعاية والحماية، هناك من يقوم على أمرك ويرعى شأنك وهو مأمور بالإحسان إليك.

هذا هو الإسلام الذي كرمك منذ لحظة ولادتك، وما نراه في المجتمع ليس من تعاليم الإسلام. مسكين من لم يستطع التفريق بين الإسلام وأفعال أتباع الإسلام ممن لم يطبقوا قوانينه وتعاليمه، وإن كانوا في الظاهر من الذين لا يتركون فرضا في المسجد.

والقاعدة تقول: "يعرف الرجال بالحق ولا يعرف الحق بالرجال" فإن الحق لا يعرف بالرجال مهما بلغ علمهم أو كانت منزلتهم، وإذا أردنا أن نعرف الحق فلنرجع إلى مصدره. قد نرى في الرجال من يحصر الدين في أنواع العبادات من صلاة وصيام وزكاة، وينسى أن الدين المعاملة، ينسى أن هذه العبادات لابد أن تكون سببًا في رقي أخلاقنا ومعاملاتنا، وأن العبد ليبلغ بحسن خلق درجة الصائم القائم.

قد يظن نفسه عالما وهو واقع تحت براثن الجهل الذي عشش في عقله نتيجة عادات وتقاليد في المجتمع ما أنزل الله بها من سلطان.

وهكذا نرى أن هناك من المسلمين من يعيش في جاهلية مقنعة، يئد بناته بشكل مختلف؛ فيئد سعادتهم وراحة بالهم وعلاقتهم بدينهم من أجل ظلام غطى عقله فحجبه عن رؤية نور الحق.

فرق بين الدين وبين من ينتسب لهذا الدين فليس كل مسلم يعبر عن حقيقة الاسلام

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ولكن اطمئني فربك الحكم العدل لا تضيع معه الحقوق؛ وكل من ظلمك وحاول أن يئد سعادتك سيحاسب ولو كان أقرب الناس إليك، ليس هناك استثناء لأحد، ربك لا يرحم من لا يرحم، يقول ﷺ: (إنما يَرْحَمُ اللَّهُ مِن عِبادِهِ إلَّا الرُّحَماءَ)[١٤]. فكوني على يقين أن دموع عينيك وحزن قلبك لن يضيع عند الرحمن الرحيم المنتقم الجبار.

وربك الجبار أيضا سيجبر خاطرك ويعوضك خيرًا، فامسحي دموعك، فلابد أن يأتي يوم ترين فيه عطايا الجبار الوهاب. هيا ارفعي رأسك فأنت ابنة الإسلام الذي كرمك منذ لحظة مولدك، لا تسمحي لأحد أن يلصق بالإسلام تهمًا هو منها براء، بل حاربها وأنكرها وحرمها، لا تسمحي لأحد أن يحجب عنك النور.

لا تستسلمي للظلم والحزن ولا تسمحي لأحد أن يئد أحلامك وآمالك وأن يحطمك، فأنت ملكة وستظلين ملكة مهما فعلوا؛ فاستغلي طاقتك فيما يفيد واجعلي لحياتك معنى بإرادتك وتصميمك وعدم استسلامك.

[١٤] متفق عليه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

والآن بعد أن عرفتِ ما أعده الله لمن أحسن للبنات ماذا ستفعلين لتنالي هذا الفضل؟

- لا تجعلي هذا الفضل يفوتك بل واحرصي على تعليمه لغيرك.
- ابدئي بنفسك وانظري لبناتك اليوم نظرة مختلفة تجعل تعاملك وسلوكك معهن سلوكا مختلفا، سلوكا يكون طريقا لك إلى الجنة والستر من النار ومرافقة النبي ﷺ في الجنة.
- علمي بناتك أن الإسلام أكرمهن وجعل لهن شأنا وقدرا، وأن التغيير الذي حدث في معاملتهن في البيت إنما هو لأنك عرفت أن الإسلام أمرك بذلك.
- علمي أولادك أن يحسن لأخواتهم ولبناتهم إذا رزقن بالبنات. نريد أن نغرس في أبنائنا وبناتنا أن الإحسان للبنات إنما هو من تعاليم الإسلام.
- لا تسمحي لأحد أن يشكك في دينك أبدا.
- أنت ملكة فاحذري أن تقللي من شأن نفسك.
- أنت ملكة فاحذري أن يخدعك أحدهم ويُشعرك أنك بلا قيمة .

لا تلتفتي لأصوات لم تدرك قيمتك وما زالت تردد دعاوى الجاهلية. وفرقي بين القائل وبين التشريع، فرقي بين الإسلام وبين من ينتسبون للدين. فللأسف كثير من المنتسبين للإسلام هم أكثر من يشوهون صورته دون أن يشعروا. فلا تسمحي لأحد أن يحجب عنك نور الحقيقة.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

(٣)

ملكة

وأنت عروس

شبكة الألوكة
www.alukah.net

عشنا مع تكريم البنت وهي في كنف أهلها تحت رعاية أبيها أو أخيها أو عمها أو ولي أمرها أيا كان هذا الولي، وهذه عصفورتي قد كبرت ونضجت وأصبحت عروسًا على أعتاب الزواج، تنسج في خيالها مواصفات لشريك حياتها، ليكون أنيسها في عشها الجديد الذي قد تعيش معه فيه أكثر مما عاشت مع أهلها، وسيكون لها بيتها وعشها ومملكتها الخاصة لا ينازعها فيها أحد.

فها هي ريحانة القلب وبهجة المنزل وأجمل ما فيه وأحد مفاتيح الجنة والستر من النار، من قد تكون سببا في قرب والديها وأخيها من رسول الله ﷺ في الجنة تستعد لمغادرة عشها الذي نشأت فيه.

ولكن الاختبار للرجال لم ينتهِ بعد، فالإحسان إليك مازال ممتدا، فلتسعدي ولتقر عينك ولتعلمي أن الإسلام كرمك في كل لحظة وكل مرحلة من حياتك.

ولكن كم تحطمت آمال وأحلام وقلوب فتيات رقيقات، مع اختلاف الأسباب، فكم من أب كان محسنا ولابنته مراعيا وبلغ من حبه لها أن أراد أن يكون الاختيار بيده حتى يشعر بالاطمئنان حتى ولو لم يجد عندها استحسان، ظنا منه أن في زواجها من ذلك الإنسان خير لها، وأمان مما تأتي به الأيام.

وكم من فتاة كانت تعيش في جحيم من جاهلية الآباء ووأد الأرواح وكانت تحلم بذلك الفارس الذي ينتشلها من تلك المعاناة وقاع الأحزان والآلام، فيأبى ولي أمرها إلا ليكمل ما بدأه من ظلم وإيذاء، وإذا به يجبر ابنته على الزواج من شخص يكبرها بالعديد من الأعوام، أو يجبرها على الزواج بمن لا يلقى عندها قبول، ولم تجد في نفسها له ميول بل كل ما تشعر به تجاهه النفور، رغبة فيما عنده من مال

شبكة الألوكة
www.alukah.net

أو جاه أو لقضاء مصلحة تشبع ما في نفسه من أطماع، لا يثنيهم عن ذلك دموع وبكاء ولا رجاء وتوسلات.

فما هي الحقوق التي كنت ستتمنينها لو كنت مكانهن؟

من الحقوق التي تريدها الفتاة في هذا الموقف العصيب أن يكون لها حق رفض أو اختيار شريك حياتها ليكون بينهما مودة ورحمة، وأن تُحترم رغبتها فهي من ستتزوج لا ولي أمرها. وهذا هو ما كفله لك الإسلام. إن من حقوقها أن تُطلب مشورتها وإذنها عندما يتقدم خاطب للزواج بها. فليس من سلطة الأب ولا ولي الأمر أن يجبر ابنته أو أخته أو بنت أخيه أو أيا من كانت تحت ولايته على الزواج من أحد دون موافقتها ومشورتها.

قال رسول الله ﷺ: «لا تُنكَحُ الأيِّمُ حتَّى تُستأْمَرَ، ولا تُنكَحُ البِكْرُ حتَّى تُستأْذَنَ. قالوا: يا رَسولَ اللَّهِ، وكيفَ إذْنُها؟ قالَ: أنْ تَسْكُتَ»[١٥]، ففي هذا الحديث ينهى النبي ﷺ عن تزويج المرأة بدون إذنها، بل إذا جاءها خاطب لابد من استئذانها والحصول على موافقتها قبل قبوله. إنه احترام الإسلام للمرأة وتقديره لرأيها.

نريد أن نتوقف عند هذا الحديث قليلا لنعرف ما فيه من الكنوز ونسأل أولا:

- ما الفرق بين الأيم والبكر؟
- وما الفرق بين تستأمر وتستأذن؟
- وهل هذا الفرق يغير في المعنى؟

[١٥] رواه البخاري

شبكة الألوكة
www.alukah.net

- **الأيم**: هي المرأة التي سبق لها الزواج، والبكر: هي المرأة التي لم يسبق لها الزواج.
- **وتُسْتَأْمَر**: أي يطلب أمرها ومشورتها في الشخص الذي يريد أن يتزوجها، فترد صراحة بالرفض أو القبول.
- أما **تستأذن**: فمعناه طلب إذنها.

يقول الشيخ عبد الحي يوسف: "فالاستئذان طلب الإذن ويكون ذلك من البكر بمجرد سكوتها، كما قال النبي ﷺ: "**وإذنها صماتها**" وفي لفظ "**سكوتها**" وذلك مراعاة لما طبعت عليه البكر من الحياء والخفر، أما الثيب فإنها تستأمر أي يطلب أمرها بأن تقول: نعم زوجوني أو أنكحوني، أو نحو ذلك من الألفاظ الدالة على رضاها بمن تقدم لخطبتها، وذلك لأن الأيم أقل حياء من البكر وأكثر خبرة بشئون الحياة وأحوال الرجال".

وفي رواية لأبي داود والنسائي: «**ليس للولي مع البنت أمر، واليتيمة تستأمر وصمتها إقرارها**».

حتى اليتيمة التي قد تشعر بكسرة الجناح، يقول لها إياك أن تشعري بذلك فأنت معززة مكرمة بيدك اختيار شريك الحياة.

هذا هو الفرق في المعنى لغويا، وقد يكون متقاربا، لكن في الحقيقة نجد هنا لفتة تبهرنا، تشعرك بقرب الإسلام منك، ومن مشاعرك وطريقة تفكيرك، دينك يشعر بك في كل حالتك، يعرف أنك في موقف قد يغلبك حياؤك على النطق بالموافقة وإعلان رغبتك في الزواج. يدرك أن حياء البكر أكثر من تلك التي سبق لها الزواج؛ فجعل علامة إذنها وقبولها عندما يعرض عليها الزواج صمتها.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ألم ترتفع دقات قلبك عرفانا وامتنانا ويفيض قلبك حبا لهذا الدين الذي يراعي أحاسيسك حتى وأنت تأخذين حقك فيوازن بين حقك وبين حيائك الذي هو فطرتك وشعارك؟ إذا ليس لولي أمرك أن يجبرك على الزواج.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " ليس للولي أن يجبرها على نكاح من لا ترضاه، ولا يعضلها عن نكاح من ترضاه إذا كان كفؤاً لها باتفاق الأئمة، وإنما يجبرها ويعضلها أهل الجاهلية والظلمة الذين يزوجون نساءهم لمن يختارونه لغرض، لا لمصلحة المرأة ويكرهونها على ذلك، أو يخجلونها حتى تفعل، ويعضلونها عن نكاح من يكون كفؤاً لها لعداوة أو غرض، وهذا كله من عمل الجاهلية والظلم والعدوان، وهو مما حرمه الله ورسوله، واتفق المسلمون على تحريمه، وأوجب الله على أولياء النسـاء أن ينظروا في مصلحة المرأة ، لا في أهوائهم .. " مجموع الفتاوى

وقال رحمه الله: "وأمَّا تزويجها مع كراهتها للنكاح فهذا مخالف للأصول والعقول، والله لم يُسوِّغ لوليها أن يُكرهها على بيع أو إجارة إلا بإذنها، ولا على طعام أو شراب أو لباس لا تريده فكيف يكرهها على مباضعة ومعاشرة من تكره مباضعته؟ ومعاشرة من تكره معاشرته؟ والله قد جعل بن الزوجين مودةً ورحمة، فإذا كان لا يحصل إلا مع بغضها له ونفورها عنه فأيُّ مودةٍ ورحمةٍ في ذلك؟ " مجموع الفتاوى.

دينك يكرمك ويرفع من سأنك ولا يسمح لأحد أن يرغمك على الزواج ، فتمسكي بهذا الحق الذي منحه لك رب الارباب ولا تفرطي في حقك الذي كفله الله لك

وهنا قد يدور في ذهنك سؤال:

ما حكم زواج من أرغمت على الزواج بمن لا ترغب؟

شبكة الألوكة
www.alukah.net

للإجابة عن هذا السؤال مازال عندي ما سيسعد قلبك ويذكرك كم أنت غالية في الإسلام، ولن يسمح لأحد بأن يتعدى على حقوقك.

من زوجها وليها بغير رضاها يكون عقد الزواج موقوفاً على إجازتها، فإن أجازته صار عقداً صحيحاً، وإن لم تجزه فهو عقد فاسد، الله أكبر عاد الأمر إليك مرة أخرى رغم وقوع الزواج فعلا!

ألا تصدقين؟ إذا فلنرَ التطبيق العملي على ذلك من خير البرية، فعن بُرَيْدَةَ بن الحصيب قال : «جَاءَتْ فَتَاةٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ : إِنَّ أَبِي زَوَّجَنِي ابْنَ أَخِيهِ لِيَرْفَعَ بِي خَسِيسَتَهُ . فَجَعَلَ الْأَمْرَ إِلَيْهَا، فَقَالَتْ : قَدْ أَجَزْتُ مَا صَنَعَ أَبِي ، وَلَكِنْ أَرَدْتُ أَنْ تَعْلَمَ النِّسَاءُ أَنْ لَيْسَ إِلَى الْآبَاءِ مِنْ الْأَمْرِ شَيْءٌ»[١٦].

الله أكبر! هذه فتاة جاءت للنبي ﷺ تشكو إليه ما فعله أبوها، فقد زوجها دون رضاها من ابن عمها، ليرفع خسيسته، ومعنى ليرفع بي خسيسته أي يرفع منزلته ومكانته الاجتماعية بذلك الزواج. فماذا فعل النبي ﷺ؟ هل وافق على ما فعله أبوها، وقال لها: أطيعيه؟ لا، بل كان الرد الذي سيسكت كل من سولت له نفسه فعل ذلك. لقد جعل القرار بيدها؛ لو شاءت استمرت في هذه الزيجة، وإن شاءت فسخت هذا الزواج الذي لا ترضى عنه.

تلك فتاة تعرف حقوقها، تعرف أن الإسلام ما كان ليظلمها، والتي لا تدافع عن حقها المشروع فقط وإنما تدافع عن حق النساء جميعا، تريد أن تعرف كل أنثى حقها وأن قرار زواجها واختيار شريك حياتها بيدها لا بيد أبيها.

[١٦] رواه ابن ماجه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وتروي لنا السنة أيضا عن خنساءِ بنتِ خدامِ الأنصاريةِ أنَّ أباها زوَّجها وهي ثيِّبٌ فكرهت ذلك فأتتِ النبيَّ ﷺ فردَّ نكاحَه[١٧] .

فهذه حالة أخرى، هذه امرأة ثيب أي كانت متزوجة وطلقت أو مات عنها زوجها، ثم زوجها أبوها دون رضاها. فماذا فعل رسول الله ﷺ؟ لقد رد نكاحه، هذا نكاح باطل مادام دون رضاها.

ليس لأحد أن يكرهك على الزواج، ليس لأحد أي يمنع عنك حقك المشروع في الاختيار.

وهنا قد يدور في ذهن بعض الملكات اللاتي عانين من تسلط الأب أو الولي سؤال، وهو :

لماذا جعل الإسلام زواج المسلمة بيد وليها؟

ربك الحكيم العليم بما في النفوس الخبير بمن خلق ويعرف ما يصلح حالهم، يعلم رقة مشاعرك، ويعلم طبعك المجول، يعلم الإسلام أن عواطفك الجياشة قد تجعلك تتنازلين عن أمور تحقق لك الاستقرار في حياتك وتبعدك عن كثير من المشاكل مثل التكافؤ الديني والتعليمي والاجتماعي. فالإسلام حين منع المرأة المسلمة من تزويج نفسها بغير ولي فإنما كان ذلك مراعاة لمصالحها واستقرار حياتها الزوجية، وحفاظا عليها ورعاية وصيانة لحيائها وكرامتها ومنزلتها.

إن الإسلام يحقق التوازن ويضع الضوابط، ولا يأمر إلا بالخير، ولا ينهى إلا عن الشر، وما علينا إلا الاستسلام لأمر الله والسمع والطاعة مع رضا القلب،

[١٧] رواه البخاري

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقناعة العقل أن هذا هو الخير حتى لو قصر تفكيري عن بلوغ الحكمة والغاية من هذا الأمر أو ذاك النهي.

قال ﷺ في الحديث الصحيح: «لا يُؤمِنُ أحدُكُم حتَّى يكونَ هواهُ تَبَعًا لما جئتُ بهِ». أي: لا يستكمل المسلم إيمانه حتى يكون طبعه وقلبه متابعا للشريعة التي جاء بها النبي ﷺ.

وقد أصبحنا الآن على يقين بعد كل ما عرفناه من حقوق وهبها إياك أن الإسلام يراعي مصالحك، فليطمئن قلبك، ولتقر عينك، ولترضى نفسك وتسلم لكل ما جاء به دينك فهو الخير لا ريب. كيف لا، وأنت صاحبة الدلال والرعاية والحماية، أنت ملكة القلوب والبيوت وقرة العيون، أنت المكرمة المعززة التي أعزك الإسلام.

وإذا كان الإسلام قد جعل زواج الفتاة بيد ولي أمرها ها هو يأمر الأولياء بتقوى الله في بناتهن والحرص على مصالحهن واختيار الأزواج الصالحين الذين يُرضى دينهم وأخلاقهم، فليس المعيار بالمال والجاه وإنما المقياس الحقيقي في اختيار التقي الصالح صاحب الخلق، الذي إن أحبها أكرمها، وإن كرهها لم يظلمها، قال رسول الله ﷺ: «إذا أتاكم مَن ترضونَ خلقَهُ ودينَهُ فزوِّجوهُ إلَّا تفعلوا تكن فتنةٌ في الأرضِ وفسادٌ عريضٌ»[١٨].

[١٨] رواه ابن ماجه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

إذا منع الإسلام وليك من إجبارك على الزواج، وأمره أن يحسن اختيار الزوج فلا يقبل إلا صاحب الدين والخلق. فهل اكتفى الإسلام بذلك؟

لقد حارب الإسلام نوعا آخر من الظلم الذي يقع على النساء وهو العضل.

والعضل هو منع البنت أو المرأة من الزواج إذا تقدم لها كفؤها ممن ترضاه وتوافق عليه، قال الله تعالى: ﴿فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف﴾[١٩].

ونزلت هذه الآية في معقل بن يسار رضي الله عنه، الذي زوج أخته رجلا من المسلمين فطلقها فلما انقضت عدتها جاء يخطبها فرفض معقل بن يسار وقال: **أكرمتك وزوجتك فطلقتها، والله لا ترجع إليها أبدا.** وكانت المرأة تريده فنزل قول الله تعالى: {**وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف**}، فلما سمعها معقل بن يسار دعا الرجل فزوجه.

وإذا كانت الآية خاصة بحالة معينة إلا أن العلماء قالوا هي عامة في أمثال هذه الحالة وغيرها، حتى لو كانت فتاة.

قال الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله: متى بلغت المرأة سن البلوغ وتقدم لها من ترضاه دينا وخلقا وكفاءة، ولم يقدح فيه الولي بما يُبعده عن أمثالها ويُثْبت ما يدعيه، كان على ولي المرأة إجابة طلبه من تزويجه إياها، فإن امتنع عن ذلك نُبّه

[١٩] [البقرة: ٢٣٢]

شبكة الألوكة
www.alukah.net

إلى وجوب مراعاة جانب موليته، فإن أصر على الامتناع بعد ذلك سقطت ولايته وانتقلت إلى من يليه في القربى من العصبة.

وما قاله الشيخ هنا غاية في الجمال والتوازن، نعم ديننا لا إفراط فيه ولا تفريط، يضع القواعد تامة الانضباط والعدل. فمن أين نستخرج هذا من كلام الشيخ؟

يقول الشيخ هنا ضابطا مهما في هذه المسألة، نعم أنت لك حقوق، وولي أمرك أيضا له حقوق، كما أنه لا يرغمك على الزواج ولك رأيك المعتبر في اختيار شريك حياتك، فهو أيضا له حق في الموافقة على من ترغبين في الزواج منه، وأن يضع شروطا في من يستحق الزواج من ابنته، ويوافق على من يحقق شروط التكافؤ بينها وبينه.

ولهذا علينا أن نتمعن جيدا في قول الشيخ: "ولم يقدح فيه الولي بما يُبعده عن أمثالها ويُثْبت ما يدعيه".

ففرق كبير بين من يرفض أن يزوجها لأحد، إما طمعا في مرتبها أو غيرها من الأسباب، وبين من يرفض لأن فيه عيبا وأنه غير مناسب لها.

هل شعرتِ بمنزلتك في الإسلام؟ هل رأيتِ كيف يرعاك دينك ويهتم بك؟ هل خفق قلبك عرفانا بكل هذا التقدير والتكريم الذي تفيض به تعاليم الإسلام ليحافظ على حقوقك؟

هل يكفيكِ ذلك؟

شبكة الألوكة
www.alukah.net

نعم يكفينا ذلك معشر النساء ولكن مازال هناك المزيد. لك هدية من رب العالمين، هدية سيعطيها لك الزوج حقا كاملا لك دون منازع ليس لأحد أن يأخذ من هذه الهدية شيئا ولو كان قليلا. إنها **المهر**، ذلك الحق الخالص لك وحدك، مالك أنت وحدك، هدية خالصة واجبة لك وحدك، من حقك أخذها فورا قبل أن تمكني زوجك منك، ولك أن تؤخري ذلك الحق إن أردتِ فقط لتجعليه مؤخرا لكن الأساس أن تتملكيه قبل النكاح، أي قبل أن يدخل بك، ليس لوليك أن يأخذ منه شيئا. بل الأصل أنك لا تتحملين شيئا من تكاليف الزواج والجهاز، فالزوج في الإسلام هو من يتحمل أعباء الزواج من المهر، وتجهيز بيت الزوجية كاملا، والنفقة على الزوجة، ولا تطالب المرأة بشيء من ذلك أبدا إلا أن تبذله برضاها. فليس لأهل الزوج أن يشترطوا عليك جهازا معينا، ولا قيمة معينة، فأنت إنما تساعدينهم بما كان واجبا عليهم، فارفعي رأسك واعلمي حقك.

جاء في الموسوعة الفقهية: "**ذهب جمهور الفقهاء إلى أنه لا يجب على المرأة أن تتجهز بمهرها أو بشيء منه، وعلى الزوج أن يعد لها المنزل بكل ما يحتاج إليه ليكون سكنا شرعيا لائقا بهما. وإذا تجهزت بنفسها، أو جهزها ذووها فالجهاز ملك لها خاص بها. حتى لو كان الزوج قد دفع أكثر من مهر مثلها رجاء جهاز فاخر**".

فإن تبرعت المرأة أو وليها بشيء من ذلك، أو جرى العرف به، فلا بأس، تيسيرا على الأزواج، ولكن يبقى الأصل أن هذا تفضلا منك وليس واجبا عليكِ.

فهل حصلتِ على مهرك يا غالية؟ هل عرفتِ كم أنت غالية في الإسلام؟

شبكة الألوكة
www.alukah.net

إذا لا تنزعي تاجك! ذلك التاج الذي من العجب أن تأباه بعض النساء وتنزعه بيدها عن رأسها، وترفع شعار ذكورية المرأة، تفعل ذلك عندما تعمي بصرها عن رؤية حقيقة أنها ملكة وعن الشعور بقيمتها، عندما تسمح لبعض أفراد المجتمع الذين ما زالوا متشبعين بأفكار جاهلية أن يفقدوها ثقتها في دينها. يحدث ذلك عندما تغطي قلبها وعقلها بأستار الجهل بمنزلتها في الإسلام.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

(٤)

ملكة

في مملكة الزوجية

شبكة الألوكة
www.alukah.net

عرفنا بعضا من تكريم المرأة في الإسلام منذ لحظة ولادتها وعند خطبتها، وها هي ملكتنا قد انتقلت إلى بيت الزوجية والحديث عن حقوقها فيه سيكون له شجون؛ لأنه يعبر عن الكثير والكثير من الصرخات المكتومة في القلوب، فنحن سنقتحم عالما قد يكون مؤلما لكثير من الملكات، عالم أرغمها فيه كثير من الرجال على خلع تاجها، واليوم نريد أن نعيد هذا التاج، على الأقل ونخطوة أولى؛ نعيده لأنفسنا، بأن ندرك حقوقنا التي كفلها لنا الإسلام، ونفخر بأننا ننتمي لهذا الدين، ونتحدث عن الحقوق التي كفلها الإسلام للزوجة، بل للملكة في بيت الزوجية، في مملكتها التي لا ينازعها فيها أحد.

نعم هو مملكتك أنت، بيتك أنت؛ ألم ينهى ربك عن إخراج المطلقة من بيتها حتى انتهاء العدة فقال: ﴿لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ﴾[٢٠]؟ إذا هو بيتك كما قال ربك، فهيا ندخل لمملكتك.

اعذريني فقد ألهب مشاعرك المحترقة، وأحرك آلامك الساكنة بين ضلوعك منذ سنين، ولكن أنا هنا اليوم لأخبرك بالحقيقة وأنهم خدعوكِ باسم الدين، فلا تسمحي لأحد أن يخدعك باسم الدين وبأن يملي عليك حقوقه ويتجاوز عن حقوقك ظلما وطغيانا، وكأنه يقرأ قول الله تعالى: **(ولا تقربوا الصلاة)** دون أن يكمل الآية.

لقد تجاهل بعضهم الكثير من آيات القرآن الكريم وأحاديث النبي ﷺ التي تتحدث عن حقوق الزوجات؛ إلى كل هؤلاء نقول: ﴿أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖ﴾[٢١].

[٢٠] [الطلاق : ١]
[٢١] [البقرة : ٨٥]

شبكة الألوكة
www.alukah.net

نقول لهم أيضا: ألم تقرأوا قول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٢٢]؟

ما أسعد قلوب الزوجات بهذه الآية، نعم أنت مثل زوجك تماما في الحقوق، إنها آية عظيمة تضع قاعدة واضحة صريحة، توضح لكل زوج أن لزوجته حقوقا متساوية معه، وتعلن لكل زوجة أن لها حقوقا أيضا كزوجها، وأن حقوقها ليست في الدرجة الثانية بعد زوجها بل هي حقوق مماثلة لحقوقه.

قال تعالى : ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[٢٣]. يقول ابن كثير رحمه الله في "تفسير القرآن العظيم" : " أي : ولهن على الرجال من الحق مثل ما للرجال عليهن ، فليؤد كل واحد منهما إلى الآخر ما يجب عليه بالمعروف" .

هذا هو المعنى العام للآية، أن للنساء من الحقوق مثل ما للرجال عليهن من الحقوق.

وهنا نجد كلمة لابد من الوقوف عندها لتأملها ونسأل أنفسنا:

ما معنى هذه التماثل في قوله تعالى (وَلَهُنَّ مِثْلُ)، هل تعني التماثل التام بين الأزواج في الحقوق؟

لا يمكن أن نقول مثلا أن التماثل والمساواة هنا معناها أن الزوج يذهب للعمل يوما والزوجة يوما، أو أن ينظف الزوج البيت يوما والزوجة يوما، إن المعنى أعمق

[٢٢] [البقرة : ٢٢٨]
[٢٣] [البقرة : ٢٢٨]

شبكة الألوكة
www.alukah.net

من ذلك بكثير، إنه معنى يدل على عدل الإسلام وأنه يضع كل شيء في موضعه تماما.

يقول العلامة الطاهر ابن عاشور في "التحرير والتنوير": " **والمثل أصله النظير والمشابه : وقد يكون الشيء مثلا لشيء في جميع صفاته ، وقد يكون مثلا له في بعض صفاته ، وهي وجه الشبه، وقد ظهر هنا أنه لا يستقيم معنى المماثلة في سائر الأحوال والحقوق : أجناسا أو أنواعا أو أشخاصا ؛ لأن مقتضى الخلقة ، ومقتضى المقصد من المرأة والرجل ، ومقتضى الشريعة ، التخالف بين كثير من أحوال الرجال والنساء في نظام العمران والمعاشرة . فتعين صرفها إلى معنى المماثلة في أنواع الحقوق على إجمال تُبيِّنُهُ تفاصيل الشريعة : فلا يُتَوَهَّم أنه إذا وجب على المرأة أن تَقُمَّ - أي تنظف - بيت زوجها وأن تجهز طعامه أنه يجب عليه مثل ذلك ، كما لا يُتَوَهم أنه كما يجب عليه الإنفاق على امرأته أنه يجب على المرأة الإنفاق على زوجها ، بل كما تقم بيته وتجهز طعامه ، يجب عليه هو أن يحرس البيت وأن يحضر لها المعجنة والغربال ، وكما تحضن ولده يجب عليه أن يكفيها مؤنة الارتزاق كي لا تهمل ولده ، وأن يتعهده بتعليمه وتأديبه ، وعلى هذا القياس**".

إذا الحقوق والوجبات التي على الزوجين تنقسم إلى قسمين :

١-حقوق وواجبات يتساوى فيها كل من الزوجين تساويا تاما

مثل حسن العشرة ، والمماثلة في وجوب الرعاية (الرجل راع على أهله والمرأة راعية في بيت زوجها) ، والتشاور في الرضا، ونحو ذلك .

شبكة الألوكة
www.alukah.net

٢-وحقوق وواجبات تكون بين الزوجين على وجه المقابلة

أي كل منهما له حقوق مختلفة حسب ما قضاه الله عليه بمقتضى الفطرة والخلقة والشرع والحكمة، وكلها جاء تفصيلها في شرع الله.

وبالتالي عند الحديث عن حسن العشرة والمعاملة نجد أن الزوجة مثل الزوج في كل الحقوق، هو كرامته مصانة وهي كرامتها مصانة، هو عليه أن يعاملها بالمعروف كما تعامله بالمعروف، هو له ذمته المالية وهي لها ذمتها المالية المستقلة عنه، تتصرف في مالها بما شاءت وكيف شاءت، ولا حق له في مالها، ولا في تصرفاتها المالية في مالها الخاص، له حق الاحترام ولها بالمثل، له حق المعاشرة بالمعروف وهي أيضا، له حق التقدير وهي مثله تماما.

بل إن من حقك أيتها الزوجة أن يتزين لك زوجك كما تتزينين له وأن تكون رائحته طيبة كما يطلب منك ذلك، هل تعجبين؟ إذا انظري إلى حرص النبي ﷺ على السواك كلما دخل المنزل، عن عائشة قالت: **(كان إذا دخل -أي النبي ﷺ- بيته بدأ بالسواك)**[٢٤].

فبأبي هو وأمي للقاء أهله، وللقاء زوجته، يتزين كما يحب أن تتزين له، ولذلك قالوا: حتى عند الجماع يسن الاستياك؛ لأن فيه ملامسة الرجل المرأة والاقتراب.

وقال ابن عباس : إني لأتزين لامرأتي كما تتزين لى وما أحب أن أستطف كل حقي الذي لي عليها فتستوجب حقها الذي لها عليّ لأن الله تعالى يقول: **(ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف)**.

[٢٤] رواه مسلم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

هل رأيت كيف يهتم الإسلام بأبسط حقوقك حتى تزين الزوج لك؟ فما بالك بما هو أعظم؟ ما بالك بكل ما يؤلم ويعتصر قلوب البعض مما تجده من سوء معاملة الزوج لهن؟

فما هو تصورك لحسن العشرة التي تستحقها الزوجة وتتمنين الحصول عليها؟

كل واحدة منا تتمنى أن تحصل على معاملة لها مواصفات معينة، معاملة تشعرها بأنها ملكة في بيتها حقيقة، ونحن اليوم لا نريد أن يكون حديثنا كلاما نظريا يظن البعض أن تنفيذه محال، وإنما سننقل صورة حية من بيت النبوة فهناك نجد التطبيق العملي لتعاليم الإسلام، وهناك تظهر الحقيقة، ويظهر زيف كثير من الادعاءات التي نسمعها عن معنى رجولة الرجل في بيته التي يتشدق بها بعض الأزواج.

فهيا بنا ندخل بيت قدوتنا وإمامنا ونبينا ﷺ لنعرف كيف يعامل زوجاته، إن كل موقف في السيرة يحكي لنا عن تعامل الرسول ﷺ مع زوجاته يداعب مشاعرنا ويشعرنا كم كان نبينا ﷺ عظيما، يخبرنا كيف أن الزوجة غالية كيف لا وهي الملكة التي تجلس على عرش قلب زوجها زوجها الذي يدرك أنها ملكة حتى عندما تؤدي أعمالها في المنزل، فيسارع لمساعدتها ولا يجد غضاضة في ذلك، وليس كما يفعل بعض الرجال الذين لا يعرفون إلا الطلبات وحتى كوب الماء يعتقد أن إحضاره لنفسه فيه انتقاص من رجولته ومكانته، أو لأنه يرى أن واجب الزوجة أن تخدمه وتدلِّلُه، وبالطبع يتصرف الأبناء الذكور بنفس هذه القناعات.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

كم رأينا من أمهات إذا طلبن مساعدة أبنائهن الذكور ولو في القليل من أعباء المنزل كان الاستنكار من الأب أو الجد والجدة أن هذا عمل لا يليق بالرجال، فهيا بنا نعرف ماذا كان يفعل سيد الرجال بل سيد البشرية كلها وخير الأنام. سُئلت أم المؤمنين عائشةَ : ما كان النَّبيُّ ﷺ يعمَلُ في بيتِه ؟ قالت: « كان يَخيطُ ثوبَه ويخصِفُ نعلَه ويعمَلُ ما يعمَلُ الرِّجالُ في بيوتِهم»[٢٥].

وانظري إلى هذه اللفتة في الحديث: "ويعمَلُ ما يعمَلُ الرِّجالُ في بيوتِهم". أجل هذا هو الطبيعي، هذا شيء يعمله كل الرجال في بيوتهم، هذا ما كان يفعله الصحابة. أمنا عائشة تقول لنا أن النبي ﷺ كان كباقي الرجال يساعد أهله ويخدم نفسه ويخيط ثوبه ويخيط نعله. هؤلاء هم الرجال حقيقة، أما الغريب والعجيب والمختلف هو من يظن أن عمل الرجل في بيته يضاد الرجولة!

والملكة تشعر بالأمان والطمأنينة لا تخاف شيئا، فهي تعيش مع من يحميها، ويظلل عليها بجناحه، ويدافع عنها بروحه، ويقدر مشاعرها. لكننا للأسف نجد في بيوت المسلمين بعض الملكات قد افتقدت الشعور بالأمان والاطمئنان مع زوجها، تفتقد إحساس الرعاية والحب والحنان، تتمنى لو تستطيع أن تبوح بما يقلقها أو يحزنها لزوجها ولكنها لا يمكن أن تُقدم على ذلك؛ لأنها تعرف أنه لن يتفهم، ولمشاعرها لن يدرك.

أما نبيك ﷺ فهو يقدر مشاعر زوجاته، ويواسيهن، ويخفف أحزانهن، ويسمع شكواهن ولا يستهزئ بكلماتهن؛ فعن أنس أنه قال: بلغ صفية أن حفصة قالت:

[٢٥] رواه ابن حبان في صحيحه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بنت يهودي. فبكت فدخل عليها النبي ﷺ وهي تبكي، فقال لها: "مَا يُبْكِيكِ؟" فقالت: قالت لي حفصة: إني بنت يهودي. فقال النبي ﷺ: «إِنَّكِ لابْنَةُ نَبِيٍّ، وَإِنَّ عَمَّكِ لَنَبِيٌّ، وَإِنَّكِ لَتَحْتَ نَبِيٍّ، فَفِيمَ تَفْخَرُ عَلَيْكِ؟» ثم قال: «اتَّقِي اللَّهَ يَا حَفْصَةُ»[٢٦].

قمة المواساة والحب والحنان والرعاية وتطييب الخاطر وقت الحزن.

فهل ما زال هناك المزيد؟ نعم فهناك الكثير والكثير.

إن الزواج في الإسلام يحمل معاني الرحمة والحب والمودة لتلك الزوجة التي ملكت قلب زوجها، فتراه يحرص على إسعادها، يعرف ما تحبه ويناسب ميولها وشخصيتها فيسارع لتقديمه لها بكل حب. وهذا هو نبيك ﷺ قد تزوج أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها صغيرة في السن فلم ينسَ ما يتطلبه ذلك السن الصغير من رغبة في اللعب، فها هو يسمح لها باللعب مع صويحباتها، ففي الصحيحين عن عائشةَ رضي الله عنها: «كنتُ ألعبُ بالبَناتِ عندَ رسولُ اللَّهِ في بيتِهِ - وَهُنَّ اللُّعَبُ - وَكانَ لي صواحبُ يلعبنَ معي وَكانَ رسولُ اللَّهِ إذا دخلَ يتعمعن - يَستخفينَ هيبةً منهُ - فيسرِّبُهُنَّ إليَّ فيلعَبنَ معي».

وتروي لنا أمنا عائشة رضي الله عنها موقفا عظيما آخر من مواقف النبي الزوج المتفهم لاحتياجات زوجته فتقول: «كانَ الحَبَشُ يَلْعَبُونَ بحِرَابِهِمْ، فَسَتَرَنِي رَسولُ اللَّهِ ﷺ وأَنَا أَنْظُرُ، فَما زِلْتُ أَنْظُرُ حتَّى كُنْتُ أَنَا أَنْصَرِفُ، فَاقْدُرُوا قَدْرَ الجَارِيَةِ الحَدِيثَةِ السِّنِّ، تَسْمَعُ اللَّهْوَ»[٢٧].

[٢٦] رواه الترمذي
[٢٧] رواه البخاري

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بل كان يتسابق معها بنفسه، فعن عائشة رضي الله عنها «أنها كانت مع رسولِ اللهِ الله عليه وسلم في سفرٍ وهي جاريةٌ فقال لأصحابِه: تقدَّموا فتقدَّموا ثم قال تعالَيْ أُسابقُكِ فسابقتُه فسبقتُه على رجلي فلما كان بعد خرجتُ معه في سفرٍ فقال لأصحابِه تقدَّموا ثم قال تعالَيْ أُسابقُكِ ونسيتُ الذي كان وقد حملَتُ اللحمَ فقلتُ وكيف أُسابقُكَ يا رسولَ اللهِ وأنا على هذه الحالِ فقال لَتفعَلِنَّ فسابقتُه فسبقَني فقال هذه بتلكِ السَّبقةِ»[٢٨].

هل شعرت من تلك المواقف بحب النبي ﷺ لزوجته كما شعرت بتفهمه لها؟ نعم نفهم من هذا حبه لها، ولكنه لم يكتف بأن تستنبط زوجته حبه لها من المواقف بل كان يعلن ذلك صراحة بأقواله وأفعاله، يعبر لها عن حبه ومشاعره، يعرف أن الزوجة تحتاج إلى ذلك فداه أبي وأمي خير البرية ورسول الإنسانية وأحسن الناس خلقا.

يعرف طبيعة المرأة التي تحب أن تسمع كلمات الحب والثناء، وأن تشعر بحب زوجها لها، وتجعلها تلك الكلمات والأفعال أكثر سعادة وإشراقا ونضارة وإقبالاً على الحياة؛ ولذلك نجد رسول الله ﷺ يشارك زوجاته المأكل والمشرب من نفس الإناء، فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «كُنْتُ أَشْرَبُ فَأُنَاوِلُهُ النَّبِيَّ ﷺ ، فَيَضَعُ فَاهُ عَلَى مَوْضِعِ فِيَّ, وَأَتَعَرَّقُ الْعَرْقَ فَيَضَعُ فَاهُ عَلَى مَوْضِعِ فِيَّ»[٢٩].

بل يعلنها أمام الناس أنه يحب زوجته، فأين أنت من ذلك أيها الزوج الذي يخجل أن يقول لزوجته كلمة حب تروي ظمأ قلبها؟ عَنْ أَبِي عُثْمَانَ، قَالَ: حَدَّثَنِي

٢٨ رواه أحمد
٢٩ رواه مسلم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

عَمْرُو بْنُ العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، بَعَثَهُ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السُّلَاسِلِ، فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: (عَائِشَةُ) ، فَقُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ ، فَقَالَ: (أَبُوهَا)، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: (ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الخَطَّاب)، فَعَدَّ رِجَالًا»[٣٠].

يعرف حبها للدلال، ولذلك يلاطفها عند النداء، فينادي عائشة "يا عائش"، ويتكئ على حجرها، عن عائشةَ رضي الله عنها عنها قالت: «كانَ رَسولُ اللهِ ﷺ يَتَّكِئُ في حِجْرِي وأَنَا حَائِضٌ»[٣١].

ما أجمله من إعلان للحب ما زالت تتناقله الأجيال، هذا الحب الذي كان لا يخبو حتى بعد وفاة الزوجة فيذكر لها أجمل الذكريات في أجمل وأسمى معاني الوفاء؛ فعن عائشة رضي الله عنها: «كان النَّبيُّ ﷺ إذا ذَكَرَ خَديجةَ أَثْنى عليها، فأحسَنَ الثناءَ، قالت: فغِرْتُ يومًا، فقُلْتُ: ما أكثرَ ما تذكُرُها حَمراءَ الشِّدْقِ، قد أبدَلَكَ اللهُ عزَّ وجلَّ بها خَيرًا منها، قال: ما أبدَلَني اللهُ عزَّ وجلَّ خَيرًا منها، قد آمَنَتْ بي إذ كفَرَ بي الناسُ، وصدَّقَتْني إذ كذَّبَني الناسُ، وواسَتْني بمالِها إذ حرَمَني الناسُ»[٣٢].

وفي رواية: وإن كان ليذبح الشاة فيهدي في خلائلها (أي صديقاتها) منها ما يَسعهنّ، وفي رواية: «كان إذا ذبح الشاة يقول: أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة»[٣٣].

لقد ظلت في قلبه حتى بعد وفاتها، رضي الله عنها وأرضاها وجمعنا بها في الجنات.

والملكة أيضا هي دوما موضع الاهتمام، ولا يمكن أن ينالها أبدا الإهمال، ما كان لزوجها أن يدعي الانشغال بالعمل أو الأصدقاء؛ فيقضي الساعات الطويلة في

٣٠ رواه البخاري
٣١ رواه البخاري ومسلم
٣٢ رواه البخاري
٣٣ رواه مسلم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

العمل أو يتنزه مع هذا ويضحك مع ذاك ويترك زوجته وحيدة بين جدران البيت تنتظر الأنيس الذي إن عاد تناول الهاتف ليكمل مسامرته مع الأصدقاء، ويبخل على زوجته ولو بالقليل من الاهتمام، فمهما كان مقدار انشغال الزوج، فزوجته لها أولوية في حياته، ولها حق الاهتمام.

لقد كان رسولك محمد ﷺ الذي كان يحمل هموم الأمة وعنده من المسؤوليات ما عنده يجعل لزوجته وقتا خاصا بهما يشعرها فيه بالاهتمام؛ فكما روى البخاري «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا كَانَ بِاللَّيْلِ سَارَ مَعَ عَائِشَةَ يَتَحَدَّثُ».

هل ذاب قلبك حبا لرسولك الذي يعرف كيف يكون التعامل مع زوجاته؟ إن هذا هو ما يأمر به الإسلام الأزواج، هذا هو دينك وهذه هي حقوقك التي ضاعت وحان الوقت لتعرفيها.

ليست المشكلة في شرع ربنا الحكيم، وإنما المشكلة الحقيقية أننا لم نطبق الشرع، بل لم نسعَ لتعلم تعاليم ديننا السمح الحنيف الرائع، لم نعرف حقوقنا وواجباتنا؛ فكثير من الرجال والنساء يبحثون عن حقوقهم وينسون واجباتهم، وهذه بعض حقوقك كزوجة يا ملكتي فكوني على علم بها وحاولي ألا تفرطي فيها:

١- النفقة والإحسان في الكسوة والطعام والمسكن :

فأوجب الإسلام على الرجل أن ينفق على زوجته من ماله وإن كانت ميسورة الحال، فيوفر لها الطعام والشراب والمسكن والملبس المناسب بلا تقصير ولا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

إسراف، قال تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا ﴾[٣٤].

وعَنْ مُعَاوِيَةَ بنِ حَيْدَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: سَأَلَهُ رَجُلٌ: مَا حَقُّ الْمَرْأَةِ عَلَى الزَّوْجِ؟ قَالَ: « تُطْعِمُهَا إِذَا طَعِمْتَ، وَتَكْسُوهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ... »[٣٥].

واقرئي هذا الحديث جيدا، وكيف كان رسول الله ﷺ يُرَغِّب الزوج في الإنفاق على زوجته ويخبره أن هذا أفضل ما تنفقه، بل أفضل من الصدقة: روى الإمام مسلم في صحيحه عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَفْضَلُ دِينَارٍ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ دِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَى عِيَالِهِ...». وفي رواية أحمد عن أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، دِينَارٌ فِي الْمَسَاكِينِ، وَدِينَارٌ فِي رَقَبَةٍ، وَدِينَارٌ فِي أَهْلِكَ، أَعْظَمُهَا أَجْرًا الدِّينَارُ الَّذِي تُنْفِقُهُ عَلَى أَهْلِكَ».

٢- حسن المعاملة والعشرة :

كثير من الأزواج يوفرون النفقة والطعام والملبس والمسكن ويعتبرون أن هذا كل واجباتهم ونسوا أن هناك واجبات أخرى عليهم ومنها حسن المعاملة والعشرة، تجاهلوا كل ما جاء في سيرة النبي ﷺ، أعموا أبصارهم عن آيات الله وأوامره.

يقول الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم في آيةٍ محكمةٍ واضحةٍ صريحةٍ لا تحتمل التأويل:

[٣٤] [الطلاق: ٧]
[٣٥] رواه الترمذي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً ﴾[٣٦].

فما معنى المعروف المذكور في الآية؟

لقد فسر العلماء المعروف تفسيرات كثيرة:من هذه التفسيرات: العفو والمُسامحة، هناك زوجٌ لا يعفو، مهما حاولت الزوجة أن تسترضيه لا يرضى، تعتذر له، تتوسل إليه، ترجوه فلا يرضى ، فهذا عاصٍ لله عزَّ وجلّ في نصّ هذه الآية.

وأيضا من المعروف نسيان الهفوات، وترك تتبّع العثرات ، وأن تكون العقوبة على قدرِ الذنب تماماً، تأديباً لا انتقاماً . بعض الرجال لخطأ صغير، لهفوةٍ يحلف عليها بالطلاق ويطردها من البيت في منتصف الليل.

لكن انظرن ماذا فعل رسول الله ﷺ عندما غارت إحدى زوجاته؛ عن أنس رضي الله عنه قال: «كان النبي ﷺ عندَ بعض نسائه، فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين بصَحْفةٍ فيها طعامٌ، فضربت التي النبيُّ ﷺ في بيتها يدَ الخادم، فسقطت الصَّحْفةُ، فانفَلَقَتْ، فجمع النبي ﷺ فِلَقَ الصَّحْفَةِ، ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة، ويقول: ((غارت أُمُّكم))، ثم حبس الخادمَ حتى أُتِي بصَحْفَةٍ من عند التي هو في بيتها، فدفع الصَّحْفَةَ الصحيحة إلى التي كُسرت صَحْفَتُها، وأمسَكَ المكسورة في بيت التي كسَرَتْ»[٣٧].

هكذا بكل بساطة هذا هو قدوتُنا ونبينا وهذا ما يجب أن تكون عليه بيوت المسلمين، بيوت يسودها الود والرحمة والحب والسكينة، فمن المُعاشرة بالمعروف

[٣٦] [النساء: ١٩]
[٣٧] رواه البخاري

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ليس كفُّ الأذى عن الزوجة فقط، بل احتمال الأذى منها، والحِلم عند طيشها وغضبها.

تخيلن رسول الله ﷺ في بيته وزوجته صوتها يعلو، يا ترى ماذا يفعل ؟!

استأذن أبو بكر رضي الله عنه على النبي ﷺ فسمع صوت عائشة رضي الله عنها عاليًا، فلمّا دخل تناولها ليلطمها، وقال: لا أراكِ ترفعين صوتك على رسول الله ﷺ، فجعل النبي ﷺ يحجزه، وخرج أبو بكر مُغضبًا، فقال النبي ﷺ حين خرج أبو بكر: «كَيْفَ رَأَيْتِنِي أَنْقَذْتُكِ مِنَ الرَّجُلِ؟!" فمكث أبو بكر رضي الله عنه أيامًا، ثم استأذن على رسول الله ﷺ، فوجدهما قد اصطلحا، فقال لهما: أدخلاني في سلمكما كما أدخلتماني في حربكما. فقال النبي ﷺ : "قَدْ فَعَلْنَا، قَدْ فَعَلْنَا»[٣٨].

بل قد نتعجب حينما نسمع ما يقوله النبي صلى الله ﷺ لزوجته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ونكتشف فيه أروع الأمثال للأخلاق وحسن المعاملة بمعروف، كيف لا وهو خير الناس لأهله، فيقول ﷺ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ إذا كُنْتِ عَنِّي راضِيَةً، وإذا كُنْتِ عَلَيَّ غَضْبَى، قالَتْ: فَقُلتُ: مِن أيْنَ تَعْرِفُ ذلكَ؟ فقالَ: أمَّا إذا كُنْتِ عَنِّي راضِيَةً، فإنَّكِ تَقُولِينَ: لا ورَبِّ مُحَمَّدٍ، وإذا كُنْتِ عَلَيَّ غَضْبَى، قُلْتِ: لا ورَبِّ إبْراهِيمَ، قالَتْ: قُلتُ: أجَلْ، واللَّهِ -يا رَسولَ اللَّهِ- ما أهْجُرُ إلَّا اسْمَكَ»[٣٩].

سبحان الله للزوجة مشاعر، للزوجة حق أن تغضب وعلى الزوج أن يتفهم. ما أعظم هذا الدين! وأجمل تفهمه للمشاعر! ولنا هنا وقفة تأمل؛

[٣٨] رواه أبو داود
[٣٩] رواه البخاري

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لماذا اختلف رد فعل بعض الأزواج هذه الأيام عن ردود أفعال رسول الله ﷺ في نفس الموقف؟

لقد كان عند رسول الله ﷺ تقدير للذات واتزان نفسي، أما بعض الرجال حاليا، فكثير منهم لديه حساسية وشعور بالنقص وبالتالي سرعان ما يغضب من أقل موقف، إما لأنه يظنها لا تحترمه، أو خشية مظهره أمام الناس، وغيرها من الأسباب بغض النظر عن الموقف نفسه، بالاضافة للجهل بمهارات التواصل والنقاش الناضج وفهم الشخصيات وتقبل الاختلاف، أيضا بسبب الضغوط النفسية وانتشار القلق والتوتر ترى الزوج يثور على أتفه الأسباب؛ ولذلك على الزوجة أن تتفهم ذلك وتراعيه في كلامها مع زوجها ولا تأتي بقول أو فعل يثير هذه الأمور عند الزوج، وفي نفس الوقت عليها أن تغرس في أبنائها الذكور تقدير الذات وأن تسعى للوصول بهم إلى الاتزان النفسي.

وقد يحدث في البيوت خلافات وهذا شيء طبيعي، لكن المهم كيف نتعامل مع هذه الخلافات. ومهما بلغت هذه المشاكل يظل احترام الزوجة هو الأساس، لا تخرج كلمة فيها إهانة، لا سب ولا شتم ولا تجريح؛ فالملكة دائما موضع تكريم ولا تنادى إلا بأفخم العبارات وأجمل الكلمات وأحب الأسماء إليها، وإذا كان سب المسلم وإهانته حرام بل هو من كبائر الذنوب، ومن الخصال التي توجب الفسق لصاحبها لقول رسول الله ﷺ: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»[٤٠]، قال

[٤٠] متفق عليه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

النووي رحمه الله: "**واعلم أن سباب المسلم بغير حق حرام كما قال ﷺ: سباب المسلم فسوق**".

فكيف إذا كان هذا السب للزوجة؟ إنه إثم أشد، لما لها من حق على الزوج زائد عن الحقوق الواجبة لعموم المسلمين، ولما جاء في القرآن والسنة من الأمر بمعاشرتها بالمعروف.

ومن حسن العشرة التي أمر الله بها أن ينظر الزوج إلى مزايا زوجته كما ينظر إلى عيوبها. قال ﷺ: «لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقا رضي منها آخر»[٤١].

هذه هي النظرة العادلة التي يدعو إليها الإسلام، فيحث الزوج على أن يتغاضى عما يجده من شيء غير محمود في صفات زوجته لأجل ما اتصفت به من الصفات والأخلاق المحمودة، فإن الكمال لا يصل إليه أحد. قال النووي رحمه الله: "**أَيْ يَنْبَغِي أَنْ لَا يُبْغِضَهَا، لِأَنَّهُ إِنْ وَجَدَ فِيهَا خُلُقًا يُكْرَهُ وَجَدَ فِيهَا خُلُقًا مَرْضِيًّا بِأَنْ تَكُونَ شَرِسَةَ الْخُلُقِ لَكِنَّهَا دَيِّنَةٌ أَوْ جَمِيلَةٌ أَوْ عَفِيفَةٌ أَوْ رَفِيقَةٌ بِهِ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ**".

هذا هو الإسلام، هذا هو دينك، حتى إن كان عند الزوجة عيب يذكر الزوج بحسناتها.

ومن حسن العشرة ألا يمنع الرجل زوجته من حقها في التعبير عن رأيها، فالحياة الزوجية مشاركة بين الزوجين، والرجل يعطي زوجته الفرصة لتعبر عن رأيها فيما يدور داخل بيتها، وهذا مما يجعل الحياة بين الزوجين يسيرة وسعيدة، يحترم رأيها، ويقدره إذا كان صوابًا، وإن خالف رأيه. ذات يوم وقفت زوجة عمر بن الخطاب

[٤١] رواه مسلم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لتراجعه (أي تناقشه) -رضي الله عنهما- فلما أنكر عليها ذلك، قالت: **ولِمَ تنكر أن أراجعَك؟ فوالله إن أزواج النبي ﷺ ليراجِعْنه.**

ومن حسن العشرة التبسم والملاطفة والبر: فلا يكون متجهمًا في بيته يُرهب الكبير والصغير، قال رسول الله ﷺ : «تبسمك في وجه أخيك لك صدقة»[٤٢]. فكيف إذا كانت الزوجة؟ فكيف إذا كانت ملكة؟

صدقت يا رسول الله، تعرف ما يتركه العبوس على الوجه في النفس من ألم، إنك تعرف أثر البسمة وتأثيرها وسحرها على القلوب، ما كان من المعروف وحسن العشرة أبدا أن يثير دخول الرجل إلى بيته الخوف في القلوب، فيسكت الناطق، ويهدأ الجميع خوفا لا احتراما.

جاء في أخبار سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان في بيته مستلقيا على ظهره وأولاده يقفزون على بطنه ، وزاره عامل له فرأى ملاعبته لأولاده ، فتعجب مما رأى واستنكر أن يكون حال الرجل في أهله هكذا . فقال له عمر : كيف أنت مع أهلك ؟ قال العامل : إذا دخلت سكت الناطق - أي يهدأ الجميع هيبة وخوفًا من عقابه. فأمر عمر بعزله عن العمل الذي وُلِّيّ عليه ، وقال له اعتزل فإنك لا ترفق بأهلك وولدك ، فكيف ترفق بأمة محمد ﷺ.

[٤٢] رواه الترمذي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

٣- تحصين الزوجة بالجماع:

فهو حق مشترك بين الزوجين، يستمتع كل منهما بالآخر، فبه يعف الزوج والزوجة، ويبعدان عن الفاحشة، ويُؤْجران في الآخرة. وللزوجة على الرجل أن يوفيها حقها هذا، وأن يلاطفها ويداعبها، وعلى المرأة مثل ذلك.

وقد اجتهد بعض العلماء، فقالوا: إنه يستحب للرجل أن يجامع زوجته مرة -على الأقل- كل أربع ليال، على أساس أن الشرع قد أباح للرجل الزواج بأربع نسوة، ولا يجوز للرجل أن يسافر سفراً طويلاً، ويترك زوجته وحيدة، تشتاق إليه، وترغب فيه. فإما أن يصطحبها معه، وإما ألا يغيب عنها أكثر من أربعة أو ستة أشهر إلا بإذنها.

روى مالك في الموطأ عن عبد الله بن دينار قال: خرج عمر بن الخطاب من الليل فسمع امرأة تقول:

تطاول هذا الليل واسود جانبه

وأرقني أن لا خليل ألاعبه

فوالله لولا الله أني أراقبــه

لحرك من هذا السرير جوانبه

فسأل عمر ابنته حفصة: كم أكثر ما تصبر المرأة عن زوجها؟ فقالت: ستة أشهر، أو أربعة أشهر، فقال عمر: لا أحبس أحداً من الجيوش أكثر من ذلك.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

٤- المهر:

وهو أحد حقوق الزوجة على الزوج، ولها أن تأخذه كاملا، أو تأخذ بعضه وتعفو عن البعض الآخر، أو تعفو عنه كله. ملك خالص لها ليس لزوجها ولا لأبيها ولا وليها أن يأخذ منه شيئا، هو مالها وحقها.

هذه أهم حقوقك أيتها الملكة التي ضاعت بين مجتمع تربى على التمسك بحقوق الزوج فقط وتجاهل حقوق الزوجة، حقوق تحطمت بين قبضة بعض الرجال الذين ينسون واجباتهم ويطالبون بحقوقهم بل يطالبون بما هو أكثر من حقوقهم التي كفلها لهم الشرع، وآن الأوان أن نزيل التراب عن تاجك ليعود كما كان براقا، حان الوقت لتعرفي حقوقك بل ليعرف الجميع أن لك حقوقا.

إن ما نراه في بيوت المسلمين اليوم ليدمي القلوب على ما وصلنا إليه من ظلم وهضم لحق الزوجة يأباه الشرع وترفضه الفطرة السوية، هذا الظلم ظلمات عند الله يوم القيامة بل وفي الدنيا.

قال رسول الله ﷺ: «ما من ذنبٍ أجدرُ أن يعجِّل اللهُ تعالى لصاحبه العقوبةَ في الدنيا، مع ما يدِّخر له في الآخرةِ مثل البغيِ وقطيعةِ الرحمِ»[٤٣]، والبغي هو الظلم.

وأنت أيتها الزوجة المقهورة المظلومة لك رب لا يُظلم عنده أحد، لك رب حكم عدل لا يحابي جنس على جنس، جعل لك حقوقا هي من شرعه وأوامره وحذر من انتهاك محارمه، قال النبي ﷺ: «لأعلمن أقواما من أمتي يأتون يوم القيامة بأعمال أمثال جبال تهامة بيضاء ، فيجعلها الله هباء منثورا . قال ثوبان : يا رسول

[٤٣] رواه أبو داود

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الله ! صفهم لنا ، جَلِّهِم لنا لا نكون منهم ونحن لا نعلم . قال : أما إنهم إخوانكم ، ومن جلدتكم ، ويأخذون من الليل كما تأخذون ، ولكنهم قوم إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها»[٤٤]، ومحارم الله هي كل ما حرمه الله تعالى من الصغائر والكبائر، فما بالك بالظلم، ما بالك بظلم أقرب الناس إليه، من كان من المفترض أن يكون عنده الأمان والحب فإذا به يكون مصدر الخوف والألم.

حقك لن يضيع عند الله أبدا، دمع عينيك وحزن قلبك وألم صدرك لن يضيع هباء بل لك رب سيجبر قلبك ويعوضك خيرا وينصرك على من ظلمك.

وأنت الآن على الأقل عرفتِ بعض حقوقك، وهي خطوة أولى في طريق إرجاع الحقوق لأصحابها، فاللهم لك الحمد والمنة على ما أعطيت الزوجات من حقوق كحقوق الزوج؛ فكل منهما له حقوق ومن الطبيعي في المقابل أن يكون على كل منهما واجبات.

ولكن حتى هذه الواجبات كلها عدل وحكمة ولها قواعد وشروط، فما كان الإسلام ليأمر بشيء إلا ويضع له ضوابط؛ لأن الذي خلق البشر يعلم نفوسهم وطبائعهم ويعلم أن النفس قد تطمع عندما يكون لها حق فتطلب أكثر من حقها، ويعلم أن البعض إذا حصل على بعض السلطة طغى وتجبر، وما كان الله العدل الذي لا يظلم مثقال ذرة ليرضى بظلم عباده.

فهيا بنا نعرف كيف وازن الإسلام بين الحقوق والواجبات بشكل تتجلى فيه عظمة هذا التشريع وتوازنه وعدله وحكمته.

[٤٤] رواه ابن ماجه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

هيا بنا نعود لقول الله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ﴾[٤٥]، وإذا كنا قد تحدثنا عن الجزء الأول من الآية فالآن سنلقي الضوء على الجزء الثاني من الآية ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٤٦].

إذا للزوجة حقوق مثل زوجها، إلا أنه يزيد عليها في درجة واحدة فقط، وحتى هذه الدرجة ما جُعلت له إلا لأنك ملكة تُخدم وتُرعى وأنت معززة مكرمة على عرشك، وهذه الدرجة هي القوامة. الفرق في القوامة فقط، والقوامة معناها: القيام على الشيء رعاية وحماية وإصلاحاً.

قال البيضاوي رحمه الله في تفسيره: " **(الرجال قوامون على النساء)** يقومون عليهن قيام الولاة على الرعية . فزوجك بسبب هذه القوامة مسئول عنك وعن حمايتك والدفاع عنك، لو كنتِ أغنى الأغنياء، فأموالك ملك لك أنت وهو المسئول عن النفقة عليك، تجلسين في بيتك معززة مكرمة تتوفر لك سبل الراحة وهو المطالب وحده بالتعب والمشقة لينفق عليكِ.

تأملي قول الله تعالى: ﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾[٤٧].

نعم سيخرجان من الجنة لو أطاعا الشيطان، ولكن سيكون الشقاء لآدم، الشقاء للزوج، التعب للزوج.

[٤٥] [البقرة : ٢٢٨]
[٤٦] [البقرة : ٢٢٨]
[٤٧] [طه : ١١٧]

شبكة الألوكة
www.alukah.net

قال البغوي : "ولم يقل : " فتشقيا " رجوعا به إلى آدم ، لأن تعبه أكثر فإن الرجل هو الساعي على زوجته". أما الزوجة فهي ملكة ليس لها أن تتعب وتشقى خارج منزلها.

هذه هي القوامة الحقيقية ليست تشريفا فقط بل هي تشريف وتكليف، كما أنها رفع من قدرك أنتِ، هي وظيفة شرعية جُعلت للرجل، ومن ثمَّ فإنَّ على الرَّجُل مراعاة النصوص الشَّرعيَّة عند مباشرة تلك الوظيفة، بأن يكون عادلاً في تعامُله، منصفًا في معاملته لزوجتِه، مراعيًا حقوقها وواجباتها.

قال الدكتور عبد الرحمن عبد الخالق في كتابه الزواج في ظل الإسلام: "**نعني بالقوامة كون الرجل مسؤولاً عن تقويم زوجته، وأن له الكلمة الأخيرة في شئون الحياة الزوجية، وهذا الأمر قد ينظر أناس إليه أنه حق للرجل، ولكن يحسن بنا أن نجعله واجباً لا حقاً، فالرجل مسئول عن زوجته، لأنها رعية استرعاه الله إياها، كما قال ﷺ: والرجل في بيته راع وهو مسئول عن رعيته ـ والقوامة لا تعني التسلط والقهر ولا إنفاذ رأي الرجل صواباً كان أو خطأ، وإنما تعني حسن السياسة وإدارة دفة الحياة الزوجية على وجه الشورى والإحسان والحرص الدائم على بذل النصح والخير، والوقوف الحازم أمام الانحراف والنشوز**".

هكذا يجب أن يفهم المسلمون معنى القوامة.. فهي مسئولية وتكاليف للرجل، وبعبارة الإمام محمد عبده: " **إنها تفرض على المرأة شيئاً وعلى الرجل أشياء** ". نعم هي تفرض على المرأة شيئا واحدا سنعرفه معا وتفرض على الرجال حماية المرأة ورعايتها والقيام على شؤونها والنفقة عليها.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

القوامة ليست تشريفا فقط
بل هي تشريف وتكليف
للرجل ورفع من قدر المرأة

ولأن الإسلام - كما ذكرنا- يعلم ضعف النفس البشرية، وأن الشيطان لا يزال يزين الشر للإنسان، وقد يسقط البعض في نفخه وشَركه، ولأن لك شأن في الإسلام ولا يرضى ربك بظلمك أو الإساءة إليك فها هو يذكر زوجك مرارا وتكرار بألا يستغل تلك الدرجة بغير حق ويأمره بإكرامك والإحسان إليك:

- قال تعالى : ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[٤٨].
- وقال ﷺ: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخياركم خياركم لنسائهم»[٤٩].
- ويقول ﷺ : «استوصوا بالنساء خيرا»[٥٠].
- ويقول ﷺ : «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي»[٥١]،

وغيرها كثير.

هل رأيتِ قدرك؟ مقياس الخيرية عند زوجك مرتبط بالخير الذي يقدمه لك، إحسان الزوج لزوجته وأهل بيته من أفضل الأعمال والقربات، وفاعله من خيرة الناس، بل رسولك العظيم الذي كان أحسن الناس لأهله لا يكتفي بذلك بل يوصي جميع الرجال بالنساء خيرا، يوصيهم بحسن العشرة وبطيب المعاملة، بل يأمرهم أيضا أن يوصي بعضهم بعضا بذلك، يريد مجتمعا كاملا يهتم بالنساء، فإذا

[٤٨] [النساء: ١٩]
[٤٩] رواه الترمذي
[٥٠] رواه البخاري
[٥١] رواه الترمذي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

نسي البعض ذلك ذكره غيره فيظل الإحسان مستمرا. فما أعظم هذا الدين الذي أعاد للمرأة مكانتها ووضعها في منزلة تليق بها.

إذا بعد ما عرفناه من حقوق للزوجة حتى الآن ندرك أن القوامة ليس معناها أن يفرض الزوج سيطرته على زوجته من غير رقيب، ويظلمها ويكبت حريتها ويحرمها من كل ما تحبه فتكون أسيرة لرغباته وراحته دون مراعاة لها.

القوامة ليس من شأنها إلغاء شخصيتك في بيتك ولا في المجتمع الإنساني، وإنما هي وظيفة داخل كيان الأسرة لإدارة هذه المؤسسة الخطيرة، وصيانتها وحمايتها، ووجود القيّم في مؤسسة ما لا يلغي حقوق باقي الشركاء فيها، فهناك قوانين وقواعد تحكم الجميع؛ ولذلك فقد حدد الإسلام صفة قوامة الرجل وما يصاحبها من عطف ورعاية وصيانة وحماية وتكاليف، وآداب في سلوكه مع زوجته وأبنائه.

ولم يظلمك الإسلام عندما اختار الرجل لهذه القوامة ولم يخترِكِ، فالإنصاف يقول أن الرجل هو الأصلح لهذه المهمة لسببين :

- الأول: هو ما وهبه الله سبحانه وهيأه للرجل من قدرة على ذلك ، وما فضله به من قوة الجسد والأعصاب واشتداد البأس والعزيمة ، وتحكيم العقل على العاطفة.
- الثاني: هو أن الرجل أولى بالقوامة لما أوجبه الله تعالى عليه من الإنفاق على أسرته .

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وإلى هذين السببين تشير الآية الكريمة ﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم﴾[٥٢].

ولذلك ذكر الفقهاء- رحمهم الله- أن الرجل إذا لم ينفق على زوجته فإن قوامته عليها قد زالت بمعنى أنه يحق لزوجته طلب الطلاق لأجل عدم إنفاقه عليها حتى ولو كانت غنية، وإذا ترك الزوج النفقة على زوجته فهي مخيرة بين أن تفارقه، وبين أن تصبر عليه.

والآن بعد أن عرفنا لمحات عن معنى القوامة، نريد أن نسأل سؤالا لعله دار في ذهن البعض:

هل القوامة من مقتضاها تفضيل الرجال على النساء؟

إن القوامة ليست تفضيلا لجنس الرجال على جنس النساء فكم من امرأة هي عند الله خير من ألف رجل، ولكن القوامة وظيفة تحتاج لمواصفات معينة، والعقل والفطرة يجزمان بأن لكل من المرأة والرجل خصائصه وصفاته المبنية على تكوينه العقلي والنفسي والجسماني، والذي يختلف اختلافاً واضحاً عن الطرف الآخر، فهل يعقل أن تتساوى وظيفتهما مع هذا الاختلاف؟ أم أن من العقل والفطرة والعدل أن يكلف كل منهما من الواجبات ما يقدر عليه، ويعطى من

[٥٢] [النساء:٣٤]

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الحقوق ما يستحقه، ويسند إليه من الوظائف ما يلائمه ويناسبه؟ وهذا هو الذي جاء به الشرع: ﴿وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾[٥٣].

ولهذا فقد جعل الله القوامة للرجل على المرأة لتتفرغ لوظيفتها الكبرى وهي: القيام برعاية ومصالح البيت والأولاد، فكل من الرجل والمرأة له مهمة ومسؤولية ودور ووظيفة في كيان الأسرة. يقول ﷺ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ ومَسْؤُولٌ عن رَعِيَّتِهِ؛ فَالإِمَامُ رَاعٍ وهو مَسْؤُولٌ عن رَعِيَّتِهِ، والرَّجُلُ في أهْلِهِ رَاعٍ وهو مَسْؤُولٌ عن رَعِيَّتِهِ، والمَرْأَةُ في بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وهي مَسْؤُولَةٌ عن رَعِيَّتِهَا»[٥٤].

فمن الظلم أن يُطلب من المرأة أن تحمل وترضع وتربي، ثم يطلب منها العمل والكد من أجل حماية نفسها وأسرتها والسعي عليهم في آن واحد، فكان العدل أن يعطى الرجل القوامة لما فيه من خصائص تؤهله لذلك، كما أن المرأة عندها من الرقة والعاطفة وسرعة الانفعال والاستجابة لمطالب الطفولة ما أهلها لتربية الأطفال، والقيام على شؤونهم في البيت، وهو ما يعجز الرجل عن القيام به؛ تخيلي ما يحدث لو تركت أبناءك الصغار مع والدهم يوما كاملا! بالطبع سيكون يوما شاقا طويلا عسيرا مليئا بالمشاحنات؛ لأن الرجل لا يستطيع أن يتحمل الأبناء كما تفعلين، ليس له كسعة صدرك وحنان قلبك وعطف جوارحك.

إذا هذه القوامة وظيفة وليس معناها التفضيل المطلق ، فأصل التفضيل في الإسلام يقوم على التقوى وفقط؛ ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[٥٥].

[٥٣] [الكهف:٤٩]
[٥٤] رواه البخاري
[٥٥] [الحجرات: ١٣]

شبكة الألوكة
www.alukah.net

فهل معناها إلغاء شخصية المرأة وألا يكون لها رأي؟

القوامة ليس معناها أنه لا رأي لك، أنت ملكة لك رأي، لست قطعة أثاث في بيتك تفاجئين بالأمر الذي يخصك ويخص حياتك بعد حدوثه، فقد كان رسولك ﷺ المؤيد بالوحي يستشير زوجاته في أمور عظيمة بل ويأخذ برأيهن.

لقد أخذ النبي ﷺ، وهو خير البرية، وهو المؤيد بالوحي برأي زوجته أم سلمة في صلح الحديبية؛ ففي السنة السادسة للهجرة صحبت أم سلمة -رضي الله عنها- النبي -ﷺ- في غزوة الحديبية ، وكان لها مشورة لرسول الله أنجت بها أصحابه من غضب الله ورسوله ، وذلك حين أعرضوا عن امتثال أمره ، فعندما فرغ الرسول -ﷺ- من قضية الصلح قال لأصحابه **قوموا فانحروا ثم احلقوا فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات ، فلمّا لم يقم منهم أحد دخل الرسول -ﷺ- على أم سلمة فذكر لها ما لقي من عدم استجابة الناس ، وما في هذا من غضب لله ولرسوله ، ومن تشفي قريش بهم ، فألهم الله أم سلمة -رضي الله عنها- لتنقذ الموقف فقالت يا نبي الله ، أتُحبُّ ذلك ؟ -أي يطيعك الصحابة- فأومأ لها بنعم ، فقالت اخرج ثم لا تكلّمْ أحداً منهم كلمةً حتى تنحر بُدْنَكَ وتدعو حالِقَكَ فيحلقُكَ، فخرج الرسول -ﷺ- فلم يُكلّم أحداً ، ونحر بُدْنَهُ ، ودعا حالِقَهُ فحلقه ، فلما رأى الصحابة ذلك قاموا فنحروا ، وجعل بعضهم يحلق بعضاً، حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غمّاً ، وبذلك نجا الصحابة من خطر مخالفة رسول الله -ﷺ-.**

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ولما قال ﷺ: " من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة " قالت زوجته أم سلمة : فماذا يصنع النساء بذيولهن ؟ قال : " يرخينه شبرا " قالت : إذا تنكشف أقدامهن.

لقد وقفت وعرضت رأيها بحكمة، والرسول ﷺ وهو رسول الله أخذ به وقال: " إذا يرخينه ذراعا لا يزدن عليه ".

وفي واقعنا نرى كثيرا من الأزواج قد تجاهلوا آراء زوجاتهم لما ترسخ في أذهانهم لأسباب لها علاقة بالمجتمع أو التربية أو حتى بعض المواقف التي مر بها أن تفكير المرأة قاصر ينقصه النضج، وحجتهم في ذلك أن النساء ناقصات عقل، وبالتالي لا يؤهلها للمشاركة في اتخاذ القرارات، وذلك لأنهم لم يفهموا حديث رسول الله ﷺ وأنه كان في سياق المدح لا الذم وهذا الحديث له وقفة معنا عند الحديث عن الشبهات المتعلقة بالمرأة إن شاء الله.

وحتى يفهم الزوج معنى الحديث وتتغير تلك النظرة المتجنية على عقل المرأة ما عليك ملكتي إلا أن تثبتي له بأنك ملكة تحسن إدارة شؤون مملكتها وتستطيع أن تبهره بقراراتها العقلية وليست العاطفية فقط، وشيئا فشيئا قد يستطيع تغيير هذه الفكرة.

واعلمي حبيبتي أن اختلاف الرؤية والتفكير ليس معناه أن الزوجة أقل ذكاء أو قدرة على التفكير من زوجها وإنما قد خلق الله عباده وجعلهم مختلفين في رؤيتهم للأمور وفي طريقة تفكيرهم وردود أفعالهم، فلا تسمحي لأحد أن يجعل من اختلاف رؤيتكما سببا في تسفيه رأيك وتفكيرك.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

إذا القوامة أيضا ليس معناها إلغاء شخصية المرأة أو الانتقاص من عقلها وتفكيرها، وإنما مقابل هذه القوامة وهذا التكليف وهذه الرعاية هناك مطلب واحد منك، مطلب واحد يستغله الكثير من الأزواج بغير حق، مطلب يحتاج له ضوابط ضاعت إلا عند من رحم ربي، مطلب هو أمر من الله لك، شوهه البعض بسوء فهمه لحقيقته، وحاول البعض التمرد عليه، واعتبروه إهدارا لكرامة المرأة، نخرجوا على أوامر الشرع. أما الملكة الصالحة تعرف أنه أمر من الله لها، فتنفذه بكل حب وصدر رحب واقتناع بأن هذا هو الخير، تعرف أنه ضرورة وليس فيه إهدار للكرامة، إنه طاعة الزوج، وما أدراكِ ما طاعة الزوج!

أعرف أن هذا الأمر يثير في عقلك الكثير من التساؤلات، بل يشعر البعض بالغضب أحيانا، فرويدك حبيبتي سنجيب عن تساؤلاتك ولعل في الإجابة إطفاء لنار الغضب الذي قد تشعر به بعض الزوجات، ولكن نريد يا ملكتي أن نتفق على المبدأ أولا.

- هل يمكن أن يكون للسفينة ربانان؟ يأمر أحدهما بإنزال شراع السفينة والآخر يأمر برفعه، أو يأمر أولهما بتحريك الدفة لليمين والآخر لليسار؟ لابد أن تغرق السفينة يوما وإن طال الزمن.
- هناك تدرج وظيفي في أي شركة ولا يمكن للموظف أن يتخطى مديره، فهل في هذا إهدار لكرامة الموظف؟
- عندما يطيعك ابنك، أو يستأذنك قبل الخروج من المنزل، هل في هذا إهدار لكرامته؟

شبكة الألوكة
www.alukah.net

- هل كنت تخرجين من بيت والدك دون استئذان وتقولين: أنا حرة ولا سلطة لأحد عليّ؟

لماذا كل هذا ليس فيه إهدار للكرامة، أما طاعة الزوج واستئذانه فيعتبرها البعض انتقاصا من شأن الزوجة؟

إن طاعة الزوج ليست مجرد مجموعة أوامر لتضيق الخناق على الزوجة، وإنما هي أمر إلهي من الله، أمر إلهي كالصلاة والحجاب وسائر الواجبات، لن ينقص من قدرك شيئا فأنت ملكة في الإسلام وستظلين ملكة. إن طاعة الزوج ليست إهدارا لكرامتك بل هي ضرورة لتسير سفينة الحياة دون غرق، هي حق ثابت في الشرع، وقربة إلى الله، بل هي طريقك للجنة:

قال رسول الله ﷺ: «إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها دخلت من أي أبواب الجنة شاءت» وفي رواية قيل لها: «أدخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت»[٥٦].

وعن حصين بن محصن قال: حدثتني عمتي قالت: أتيت النبي ﷺ في بعض حاجة. فقال: "أي هذه، أذات بعل أنت؟" قالت: نعم. قال: "كيف أنت له؟" قالت: ما آلوه إلا ما عجزت عنه. قال: "فأين أنت منه، فإنما هو جنتك ونارك" رواه مالك والحاكم وغيرهما.

قال المناوي: "(انظري) أيتها المرأة التي هي ذات بعل (أين أنت منه) أي في أي منزلة أنت منه، أقريبة من مودته مسعفة له عند شدته ملبية لدعوته، أم

[٥٦] رواه أحمد وابن حبان

شبكة الألوكة
www.alukah.net

متباعدة من مرامه كافرة لعشرته وإنعامه (فإنما هو) أي الزوج (جنتك ونارك) أي هو سبب لدخولك الجنة برضاه عنك، وسبب لدخولك النار بسخطه عليك، فأحسني عشرته ولا تخالفي أمره فيما ليس بمعصية".

ألا تريدين أن تكوني من الصالحات القانتات؟

قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾[٥٧].

قال السعدي: فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ أي: مطيعات لله تعالى، حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ أي: مطيعات لأزواجهن حتى في الغيب تحفظ بعلها بنفسها وماله.

نريد أن نغير نظرتنا لطاعة الزوج من كونها أوامر من الزوج إلى كونها أمر من الله ورسوله. هيا استرخي أيتها الملكة ما كان لصالحة قانتة أن تعتبر طاعة زوجها مصدر تحفز وتوتر في حياتها، بل هي عبادة تؤديها عن طيب نفس ابتغاء مرضات الرب أولا، ثم رضا الزوج ثانيا.

وما جعل الله الحكيم هذه الطاعة إلا لحكمة فقد أيقنا أن قوامته عليها ليس المقصود منها التسلط والاستبداد، ولكنها من أجل الترتيب والتدبير، لم يرد بها التضييق على الزوجة ولا التحكم فيها، وإليك الدليل أيتها الملكة، هيا اعلمي حقوقك، اعلمي كيف أنت عزيزة في الإسلام.

فإذا كان حقّ الزوج على زوجته عظيما، وقد جعل الله له القوامة عليها، وأوجب على المرأة طاعة زوجها، لكنه جعل هناك قيودا تحقق العدل الذي هو جوهر

[٥٧] [النساء : ٣٤]

شبكة الألوكة
www.alukah.net

تعاليم الإسلام، نعم عليك طاعته لكنه ليس عليه التعسف في طلباته وأوامره فليست طاعته طاعة مطلقة، وإنما هي طاعة مقيدة بقيدين:

- الأول: أنها لا تكون في أمر فيه مخالفة للشرع، فعن عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «لَا طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةٍ، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ»[٥٨]. فيحرم على المرأة أن تطيع زوجها في فعل محرم أو ترك واجب؛ فلا يجوز للزوجة أن تطيع زوجها في رؤية المحرمات أو سماعها أو الخلوة مع أخيه أو خلع الحجاب أو ارتداء ملابس تخالف الشرع أو الاستمتاع بها بما حرمه الله أو قطع رحمها أو فعل أي شيء يخالف الشرع. وبالتالي ليس للزوج منع زوجته من زيارة أهلها - خصوصا والديها - إذا لم يكن هناك ضرر من هذه الزيارة.
- الثاني: أن تكون في استطاعة الزوجة ولا يلحقها فيها ضرر، لقول الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[٥٩]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[٦٠]، ولقوله ﷺ: «إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ»[٦١]، وقوله ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار»[٦٢].

إذا ليس له أن يكلفها بما لا تطيقه جسديا ولا نفسيا. ذلك الزوج الذي يطلب من زوجته أن تقوم في وقت واحد بطهي الطعام، وتنظيف البيت، وتهدئة طفل صغير يبكي، وقد باتت ساهرة مع ابنهما الرضيع أو المريض، وهو أمام التلفاز جالسا أو مع هاتفه مستلقيا، ثم ينهرها إذا تأخرت في تقديم الطعام، أو وجد البيت

[٥٨] متفق عليه
[٥٩] [البقرة:٢٨٦]
[٦٠] [الحج:٧٨]
[٦١] رواه البخاري
[٦٢] رواه أحمد وابن ماجه وصححه الألباني

شبكة الألوكة www.alukah.net

غير مرتبا! نقول له اتق الله ولا تحمل زوجتك فوق طاقتها فإنما الطاعة تكون بالمعروف.

وهذه الزوجة التي ابتلاها الله بمرض جعل القيام ببعض أعمال المنزل يزيد مرضها، فيغضب زوجها منها إن اعتذرت بسبب ألمها. نقول لزوجها اتق الله فليس لك أن تُكلف زوجتك فوق ما تطيق.

أو تلك التي يظن زوجها أن مهمتها هي خدمته وأولاده فقط وأن مساعدتهم لها أنانية منها وتهربا من مسؤولياتها، وأن طلبات الجميع واجبة التنفيذ فورا فإذا طلب أحدهم في وقت متأخر من الليل صنفا من الطعام وجب عليها طهوه ولو أيقظها من المنام. نقول له اتق الله فهي بشر لها حق الراحة مثلك ومثل أبنائك.

وهذا الذي يرمي مسؤولياته على زوجته فتراها تركض بين المنزل ومدارس الأبناء والسوق ثم تعود لتتابع الأبناء ودروسهم، لا تجد لنفسها لحظات خلال اليوم تلتقط فيها أنفاسها وهو مستلق على الأريكة يعبث بهاتفه ويلقي الأوامر ويعنف عند أقل تقصير لأن دقائق اليوم التي قضتها وهي تلهث في الركض من مكان لمكان ومن عمل لعمل لم تسعفها للانتهاء من أعماله وأعمالها، أما هو فيعيش لنفسه فقط يظن أن مسؤوليته انحصرت عند الإنفاق. نقول له اتق له ولا تحمل زوجتك فوق طاقتها فزوجتك ليست مطالبة بأداء واجباتك.

وإذا كنا نقول ذلك للزوج فلا ننسى أن نهمس في أذن ملكتنا التي هي مسؤولة عن رعيتها في مملكتها بأن ذلك لا يعني أن تتعلل الزوجة في كل أمر وتقول أن

شبكة الألوكة
www.alukah.net

فيه ضررا لها وهو ليس كذلك، وإنما نقصد هنا الضرر الحقيقي، وليس الضرر التابع للهوى.

فكم رأينا من زوجة تناولت هاتفها تتنقل من صفحة لصفحة ومن حوار لحوار حتى يضيق وقتها ولا تستطيع إنجاز واجباتها، وإذا اعترض الزوج ثارت وهاجت وماجت واتهمته بالظلم والتجني، ولو فكرت بإنصاف لعلمت أن في كلامها وفعلها ظلم وإجحاف.

وكم شاهدنا من زوجات عند أقل تعب ولو كان بسيطا تهمل بيتها وأبناءها وواجباتها.

وكم من ملكة أهملت مملكتها وبيتها ونظافته والاهتمام به بحجة عدم وجود الوقت أو وجود طفل صغير ولو نظمت وقتها أو استغلت الوقت الذي تقتضيه على هاتفها في تعلم مهارات تعينها على أداء وظيفتها لجعلت من مملكتها جنة تعيش فيها مع زوجها وأبنائها على الأرض.

إذا طاعة الزوج لها حدود فهي ليست طاعة مطلقة؛ فليس له مثلا أن يأمرها بخدمة أمه وأهله، فهذا مطالب به أبناؤها وبناتها وليس زوجة الابن.

ولكن هنا نريد أن نفرق بين الحكم الشرعي المحض وبين ما يدعو إليه الإسلام من الإحسان والبر وحسن العشرة، نعم في الأصل أن زوجة الابن غير مطالبة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

شرعا بخدمة أهل الزوج، وليس له أن يجبرها على ذلك، فكيف إذا كان يحملها فوق ما تطيق! أو يشعرها وأهله أن هذا واجب وفرض عليها!

لكن الحياة الزوجية هي روابط لا تربط فقط بين فردين هما الزوج والزوجة، وإنما هي روابط إنسانية أعظم من ذلك بكثير تربط بين عائلتين، فأمك أصبحت في منزلة أمه، وكذلك أمه أصبحت في منزلة أمك، وكما تحبين أن يعامل والدتك فلتكن معاملتك لوالدته.

بل أين ما أمر الله به من تكريم وإحسان لكبار السن؟ أين تودد لزوجك وكسب قلبه بإحسانك لأهله؟ جددي نيتك وغيري نظرتك للأمر واجعليه مصدرا لكسب الحسنات وسبيلا لك للوصول للجنات.

أعلم ملكتي أن الأمور أحيانا على أرض الواقع قد تصل إلى حد يصعب عليك نفسيا وجسديا، لكن عليك التعامل مع الأمر بحكمة ولا تصطدمي مع الزوج ولا تضعي نفسك في مقارنة معها أبدا لأنها أمه أولا وأخيرا.

ما زلنا نعيش مع طاعة الزوجة لزوجها وحدودها، وهنا نسأل سؤالا:

هل يجوز للزوج أن يمنع زوجته من فعل المباحات؟

لا حق للزوج في منع امرأته من فعل مباح لا يضيع حقا من حقوقه.

إذا الفيصل هنا هل يتعارض مع حق من حقوق الزوج أم لا.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ولذلك علينا إذا أردنا الإجابة على السؤال أن نعرف حقوق الزوج، ولذلك نذكرها سريعا دون تفصيل:

١) وجوب الطاعة.

٢) تمكين الزوج من الاستمتاع.

٣) ألا تدخل بيته أحدا يكرهه.

٤) عدم الخروج من البيت إلا بإذن الزوج.

٥) خدمة الزوجة لزوجها.

٦) معاشرة الزوجة لزوجها بالمعروف.

لعل بعض الزوجات يجدن حرجا في نفوسهن من عبارة خدمة الزوج لكن في الحقيقة إن حديثنا عن حقوق الزوجة أو حقوق الزوج ليس معناه أن تبنى الحياة الزوجية على الحقوق والواجبات فقط وإنما هي في الحقيقة مبنية على الحب والرحمة والمودة والسكينة، ما المانع في أن نقول تخدم الزوجة زوجها أو يخدم الزوج زوجته، لا نريد أن ينسينا الحديث عن الحقوق معاني حسن العشرة والعطاء.

إن على كل من الزوجين معرفة حقوق الآخر لأدائها خير الأداء بحب وطيب خاطر بل بإحسان، وليس ليطالب بحقوقه وينسى واجباته. لكن للأسف نجد أن كثيرا من الأزواج قد أضاعوا حسن العشرة بل تجاوزوا الحد وهضموا الحقوق، ولأجل ذلك نذكرهم بشرع الله، ولا ننسى أن نقول للزوجة إذا عصى الله فيكِ فأطيعي الله فيه.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

نعود لحديثنا، إذا بناء على هذه الحقوق نجد أن هناك بعض العبادات المستحبة - وليست الواجبة - التي قد تتعارض مع حق الزوج بالمعاشرة الزوجية، كصيام النوافل، والخروج إلى حج التطوع، وعمرة التطوع، ونحو ذلك، فهذه يحق له منعها منه.

لا حق للزوج في منع امرأته من فعل مباح لا يضيع حقا من حقوقه.

أيضا يحق له من منعها من بعض المباحات - وليس جميعها- وهي المباحات التي تتعارض مع ولاية الزوج على زوجته، وقد تتعارض مع حقه في المعاشرة الزوجية، وهي: خروج المرأة من منزل زوجها بغير إذنه، وإدخالها إلى بيته من لا يرتضيه من الرجال المحارم والنساء، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لاَ يَحِلُّ لِامرَأَةٍ أَن تَصُومَ وَزَوجُهَا شَاهِدٌ إِلَّا بِإِذنِهِ، وَلاَ تَأذَن فِي بَيتِهِ إِلاَّ بِإِذنِهِ»[٦٣].

وأيضا يحق له منعها من الأمور التي تشغلها عن أداء واجباتها تجاه زوجها.

هذه هي حقيقة القوامة ومعنى الطاعة المترتبة عليها، وللأسف هناك بعض الرجال الذين يستخدمون الأمر بطاعة الزوج استخداما يخرج عن معناه وغرضه الحقيقي، يجعلونه حبلا يطوقون به رقاب زوجاتهم ليشنقوهن به كلما كلفوهن بما ليس من حقوقهم في الإسلام وحجتهم (طاعة الزوج واجبة)، نعم طاعة الزوج واجبة ولكن طاعة الله أيضا واجبة وقد جعل شروطا لتلك الطاعة أيها الزوج فعل أطعته؟

[٦٣] أخرجه البخاري ومسلم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

إن طاعة الزوج في الإسلام ليس معناها أن تكون الحياة مبنية على الطاعة العمياء دائما، وإنما أساسها الحب والمودة والسكينة والحوار، فهناك أمور محورية في الحياة لابد فيها من الحوار، وفهم سبب هذا الأمر، فيُطرح الموضوع للنقاش وكل طرف يقول وجهة نظره ومن كان رأيه أصوب ينفذ بكل رضا، وإذا كانت هناك عوائق أو خطأ من طرف يزال هذا العائق وذلك الخطأ. فإذا لم يصلا لحل ولم يستطع كل منهما إقناع الآخر تكون كلمة الرجل هي المطاعة وبكل رضا أيضا، لكن لو بدأ كل طرف النقاش وهو يضع أمام عينيه أنه ولابد أن تنفذ كلمته ويطبق رأيه لأنه هو الصواب فلا داعي للنقاش، فقد أصبحنا في حرب وصدام، وقد يكون قرار الزوج خاطئا هذه المرة، فيعترف أنك كنت على صواب.

المقصود أن يكون هناك مرجع نرجع إليه، فالحياة الزوجية ليست معركة بين طرفين يحرص كل منهما على الانتصار، ولكنها رغبة حقيقة بنفس القدر من الطرفين في النقاش وعمل الأصلح ولا يهم من كان منهما على الصواب، المهم اختيار القرار الأصوب.

ويمكن أن تقنعيه برأيك بكل ذكاء ودهاء، إذا تفهمت شخصيته وعرفت مفتاح عقله وقلبه.

وقد عرفنا أن زوجات النبي ﷺ كنَّ يراجعنه أي يناقشنه، يقول عمر بن الخطاب: «كنا معشرَ قريشٍ نغلبُ النساءَ فلما قدمنا المدينةَ وجدنا قومًا تغلبُهم نساؤُهم فطفق نساؤُنا يتعلمْن من نسائِهم فتغضَّبت يومًا على امرأتي فإذا هي تُراجعُني فأنكرت أن

شبكة الألوكة
www.alukah.net

تراجعني فقالت ما تنكرُ من ذلك فواللهِ إن أزواجَ النبيِّ ﷺ ليُراجعْنه وتهجُرُه إحداهُنَّ اليومَ إلى الليل»[٦٤].

إن المرجعية في جميع أمورنا وتفاصيل حياتنا هي الشرع أولا وأخيرا، وقبل أن نطلق أحكاما على الإسلام بناء على انتشارها في المجتمع المسلم، أو صدورها من بعض من ينتسبون للإسلام لابد أن نعرف حكم الشرع وتعاليمه في هذه المسألة أولا، ففعل البعض لهذه الأفعال لا يعني أنها من تعاليم الإسلام، وقمة الظلم أن ننسب للإسلام أفعال وأخطاء من يخالفون تعاليمه وذلك لأننا لم نعرف ديننا بشكل صحيح.

الحياة الزوجية ليست معركة بين طرفين يحرص كلا منهما على الانتصار ولكنها رغبة حقيقية في اختيار القرار الأصوب مهما كان صاحبه

وما ذكرناه ما هو إلا بضع قطرات لكن إذا توغلنا في التفاصيل سنرى غيثا نروي به ظمأ حياتنا العطشى، فتطبيق تعاليم الإسلام وأخلاقه كفيلة بإصلاح حياتنا وسعادة قلوبنا.

وأعظم ما تجب فيه طاعة الزوجة لزوجها أمر الاستمتاع ما لم يكن لها عذر ، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت أن تجيء لعنتها الملائكة حتى تصبح»[٦٥].

هل يؤلمك الحديث عند سماعه أيتها الملكة؟ لعل كلماته توحي بذلك، لكن رويدك حتى نفهم ما وراءه، لا تسمحي لمن يتظاهرون بأنهم يدافعون عن حقوقك أن

٦٤ رواه البخاري
٦٥ متفق عليه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

يشككوا في منزلتك وقدرك في الإسلام، فلن تجدي من يدافع عن حقوقك كما فعل الإسلام.

وحتى نفهم معناه بشكل صحيح لابد أولا أن نتذكر أن الزواج مبني على التفاهم والمحبة والتراحم والمعاشرة الحسنة بالمعروف وإعطاء كل من الزوجين للآخر حقه.... قال الله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[٦٦]، وقال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[٦٧].

وينبغي لكل من الزوجين أن يكون ستراً ولباساً لصاحبه يعفه عن النظر والتطلع إلى ما حرم الله تعالى، واتفقنا أنك ملكة معززة مكرمة في بيتك، والرجل يخرج للمشقة والتعب وهو معرض في الخارج لما يثير شهوته، فماذا يفعل؟ سيعود إليك إلى ملكته وسكنه وحبيبته ليقضي وطره. فماذا هو الحال لو رفضتِ؟ أتتركينه ليفعل ذلك في الحرام؟ نريد أن نفهم أبعاد القضية أولا،لنعرف لماذا كان هذا الوعيد الشديد.

الآن يا ملكتي لابد أن ننتبه لأمر آخر شديد الأهمية وهو أن عند فهم نص واستخراج حكم لابد أن نجمع كل الآيات والأحاديث حول القضية لتكتمل الصورة ويُعرف حكم الشرع. إنما تعترض بعض النساء على هذا الحديث حين تخلع تاجها، لكن من نثق في أنها ملكة، من نثق في حقوقها، من نثق في أن الإسلام لن يظلمها أبدا لن تعترض، أتعرفين لماذا يا ملكتي؟

لأننا قلنا منذ قليل أن طاعة الزوج لها قيدان:

[٦٦] [النساء:١٩]
[٦٧] [البقرة:٢٢٨]

شبكة الألوكة
www.alukah.net

- ألا تكون في معصية: فلا يمكن أن تستجيب له لعلاقة كاملة وقت الحيض، ولا أن تستجيب له وهي صائمة صيام فرض.
- ألا يحملها زوجها فوق ما تطيق: فإذا كانت مريضة لا تستطيع ذلك ولا تطيقه لم تدخل في هذا الوعيد. لكن للأسف كثير من النساء تتساهل في هذا الأمر، فترفض لأدنى تعب أو إرهاق وتنسى أهمية هذا الأمر في إعفاف الزوج.

ننتقل لحق آخر من حقوقك مأخوذ في الاعتبار عند فهم مضمون هذا الحديث، مع الجمع بينه وبين قول الله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[٦٨]، إذا هذا الوعيد أيضا للزوج إذا امتنع عن زوجته.

هذا هو دينك، هذا هو شرع ربك، ليست المشكلة في شرع ربنا الحكيم العدل، وإنما المشكلة الحقيقة أننا لم نطبق الشرع، بل لم نسعَ لتعلم تعاليم ديننا السمح الحنيف، لم نعرف حقوقنا وواجباتنا؛ فكثير من الرجال والنساء يبحثون عن حقوقهم وينسون واجباتهم.

وحق الاستمتاع يذكرنا بحديث آخر كثيرا ما حير بعض النساء، فقد روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «لا يَحِلُّ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تَصُومَ وَزَوْجُهَا شَاهِدٌ إِلا بِإِذْنِهِ»، ولفظ أبي داود والترمذي «لا تَصُومُ الْمَرْأَةُ وَبَعْلُهَا شَاهِدٌ إِلا بِإِذْنِهِ غَيْرَ رَمَضَانَ».

قال الحافظ : (وَزَوْجهَا شَاهِد) أَيْ حَاضِر يعني : مقيم غير مسافر .

[٦٨] [البقرة:٢٢٨]

شبكة الألوكة www.alukah.net

(إِلا بِإِذْنِهِ) يَعْنِي فِي غَيْر صِيَام أَيَّام رَمَضَان، وَكَذَا فِي غَيْر رَمَضَان مِنْ الْوَاجِب إِذَا تَضَيَّقَ الْوَقْت.

فهذا أمر من الله لها ألا تصوم النفل إلا بإذن زوجها، وتستأذنه في صيام القضاء إذا كان هناك متسع من الوقت للقضاء، أما في صيام رمضان أو إذا ضاق عليها الوقت وأدركها رمضان ولم يتبقَ إلا أيام قليلة على رمضان الجديد وهي لم تقضِ ما عليها من أيام بعد فوقتها ليس عليها استئذانه.

ولكن لماذا كان هذا التشريع؟

حتى نجيب على هذا السؤال نسأل سؤالا آخر:

أيهما المقدم؟ **أداء الفرض أم النفل؟**

بلا جدال أداء الفرض والواجب مقدم على النفل، وقد عرفنا منذ قليل أهمية تلبية رغبة الزوج وكذلك الزوجة في الاستمتاع وما يترتب على منعه من مفاسد، ولنا أن ندرك أهمية ذلك من قول النبي ﷺ: **«إذا دعا الرجل زوجته لحاجته فلتأته وإن كانت على التنور»**[٦٩]. لو كانت تخبز أمام الفرن تترك الخبز وتلبي رغبته أولا، تخيلي نفسك والعجين أمامك قد اختمر والفرن مفتوح ثم يأتي زوجك ويطلبك، الأمر البديهي أن تقول انتظر حتى أنتهي، ولكن نبيك يقول لك اتركي ما في يدك ولبي رغبته أولا؛ لأن ديننا دين العفاف، دين يحرص على ألا يبحث كل

[٦٩] أخرجه الترمذي والنسائي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

من الزوج والزوجة عن متعته في غير ما أحله الله، وعلى كل من الزوجين أن يساعدا الآخر على ذلك.

إذا تلبية الزوجة لرغبة زوجها إذا طلبها فرض، أما صيام غير رمضان فنفل والفرض يقدم على النفل كما اتفقنا.

وقد لا ندرك نحن النساء أهمية العلاقة الزوجية وأثرها على الزوج لأن النساء قد يتحملن قلته ولا يحتجن إليه كثيرا مثل الرجال؛ ولذلك نجد أن كثيرا من المشكلات الزوجية والغضب والانفعال على أتفه الأسباب والتضييق في كثير من الأمور قد يكون سببها الحقيقي هو إهمال الزوجة وتقصيرها في هذا الأمر. ولكن الإسلام يعلم طبيعة البشر واختلاف احتياجاتهم الفطرية ويحرص على استقرار البيوت؛ ولذلك هذا الحديث ينبه النساء لأهمية هذا الأمر وخطورته ويضع من الوعيد ما يناسب العواقب التي قد تنجم على عدم مراعاة هذا الأمر.

وهكذا نرى كيف أن الإسلام حين أعطى الرجل القوامة وحق الطاعة لم يظلم المرأة وإنما جعل كل ذلك بضوابط وقيود، وما أعطى هذه الحقوق للرجل إلا لحكمة، ولو رسخ في أذهاننا أن الله عليم خبير حكيم يضع كل شيء في موضعه، وأنه لا يأمر إلا بما فيه خير ومصلحة؛ لارتاحت نفوسنا واطمأنت.

ولو نظرنا إلى تعاليم ديننا لعرفنا كيف أنصف المرأة وأعطاها من الحقوق ما لم تعطه إياه أي شريعة أو قوانين وضعية موجودة على وجه الأرض الآن.

وما عرفناه حتى الآن ما هو إلا جزء بسيط من حقوقك كزوجة في الإسلام، ومازال هناك الكثير والكثير من الحقوق التي أعطاها الله للزوجة ولكنها ضاعت

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لجهل الناس بدينها وعدم مطالبة النساء بحقوقها سنعرفها معا في لقاءاتنا القادمة،
فكنَّ في الموعد بإذن الله ولا تنسي ارتداء تاجك أبدا.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

(٥)

كيف تذهبين لب

الرجل الحازم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لقد عرفتِ بعض حقوقك التي كفلها لك دينك وهضمها مجتمعك، ميراث من الظلم وهضم حقوق المرأة توارثته الأجيال؛ لأنها بعدت عن دينها، وعاشت في مجتمع لا يرى إلا حقوق الرجل فيعطيه أكثر مما يستحق، ويهضم حقوق المرأة ولا يعطيها إلا الفتات - إلا من رحم ربي - والعجيب أن نسمع هذا أحيانا باسم الدين، ونراه من المنتسبين للمسلمين؛ يصومون ويصلون ويتصدقون ونتعجب من مقدار عباداتهم فإذا رأينا تعاملاتهم في بيوتهم مع بناتهم وزوجاتهم لرأينا العجب العجاب!

وللأسف فإن كثير من النساء سبب في تعامل الرجل معها بهذا الشكل؛ نعم فكثير من النساء أجبرت الرجل على أن ينزع عنها تاجها - حتى ولو كان على استعداد لإعطائها حقوقها - باستفزاز رجولته ومطالبتها بباقي حقوقها بأسلوب يجعلها تُسلب ما كان لديها من حقوق.

كوني على يقين يا ملكتي أن حقك مكفول ومصان في الشرع، والرجل ملزم باحترامه والقيام به، لكن علينا أن ندرك جيدا أننا لا نقوى على قلب نظام تربى عليه الرجل يبيح له الاستحواذ على الحقوق ويترك للمرأة الواجبات بين يوم وليلة، بل يحتاج الأمر إلى كثير من العمل وتضافر الجهود، على المستوى الدعوي والمجتمعي والإعلامي لهدم أفكار ترسخت في العقول وثبتت في النفوس وتربى عليها أجيال.

إن الملكة الذكية تعرف كيف تصل إلى مبتغاها في الوقت الذي تشعر فيه زوجها أن الكلمة كلمته، قال رسول الله ﷺ: «مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لِلُبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ ، قُلْنَ : وَمَا نُقْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ ؟ قُلْنَ : بَلَى ، قَالَ فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا ، أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ ؟ قُلْنَ : بَلَى ، قَالَ : فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا»[٧٠].

هل رأيت يا ملكتي؟ **(مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ)**، رغم قوة الرجل وسطوته، بل ليس أي رجل وإنما الرجل الحازم، ومع ذلك تستطيعين بذكائك وسلاح أنوثتك أن تُذهبي بعقله وتجعليه أداة طيعة في يديك.

هذا الحديث وإن كان فيه مدح لقدرات المرأة بما يجعلها قادرة على الذهاب بعقل الرجل الحازم إلا أنه يضع الكثير والكثير من علامات الاستفهام استخدمها الرجال للانتقاص من عقل المرأة، وانتهزها أعداء الإسلام ليطعنوا في مكانة المرأة في الإسلام. فماذا عنك؟ هل تعتقدين أن وصف المرأة بأنها ناقصة عقل ودين في الحديث فيه انتقاص لها ويؤلمك ذلك؟

عندما نتعرض لشبهة من الشبهات لابد أولا أن نتأكد من صحة نسبة الحديث لرسول الله صلى الله عليه، والحديث أخرجه الشيخان في صحيحيهما صحيح البخاري وصحيح مسلم.

إذا هذا حديث في أعلى درجات الصحة، فهل يُعقل بعد ما عرفناه من معاملة النبي ﷺ لزوجاته وما كان يوصي به الرجال من حسن معاملة النساء، ورأينا

[٧٠] رواه البخاري

شبكة الألوكة
www.alukah.net

كيف كان يستشير زوجاته ويعمل برأيهن أن نعتقد ولو للحظة أن النبي ﷺ قد ينتقص من المرأة وعقلها؟

وهناك نقطة أخرى لابد أن نضعها في الحسبان عند الحديث عن هذا الحديث وهو متى قيل؟ عن أبي سعيد الخدري قال: خرج رسول الله ﷺ في أضحى أو فطر إلى المصلى، فمر على النساء، فقال: "**يا معشر النساء تصدقن .....**" إذا كان في يوم عيد فهل سيقول ما يدخل الحزن على قلوبهن في هذا اليوم؟

وتأمّلي أيضا قوله: «**وما رأيتُ من ناقصاتِ عقلٍ ودين أغلبَ لذي لبٍّ مِنْكُن**» معناها أي لم أر مثلكن يستطيع اللعب بعقول الرجال الحازمين، يعني المقام والسياق هو سِياق مدح. فكيف سيجتمع المدح والذم في نفس المعنى؟

كما أنه أيضا لم يقل : "**يا ناقصات العقل والدين تصدّقن ولا تكفرن بالعشير...**".

بل إننا عندما نقرأ الحديث كاملا برواية أخرى نجد فيها لفتة أخرى تحتاج لتأمل: عن عبد الله بن عمر عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**يا مَعْشرَ النساء تَصَدّقْنَ وأَكْثِرْن الاستغفار، فإني رأيتُكُنّ أكثر أهل النار**». فقالت امرأة منهن جَزْلة: وما لنا يا رسول الله أكثرُ أهل النار؟ قال: «**تُكْثِرْنَ اللّعن، وتَكْفُرْنَ العشير، وما رأيتُ من ناقصاتِ عقلٍ ودين أغلبَ لذي لبٍّ مِنْكُن**». قالت يا رسول الله وما نقصانُ العقل والدين؟ قال: «**أما نُقصانُ العقل فشهادة امرأتين تعْدِلُ شهادةَ رَجُل، فهذا نقصان العقل، وتَمكثُ الليالي ما تُصلي، وتُفطر في رمضان، فهذا نقصان الدين**».

انظرن إلى وصف راوي الحديث للمرأة التي قامت لتسأل النبي ﷺ بأنها جزلة، ومعنى الجَزْلة: أي ذات العقل والرأي والوقار. الله أكبر فإذا عن ماذا نتحدث

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وفي الحديث نفسه نجد رجلا يصف المرأة التي تكلمت ويمدحها بأنها ذات عقل ورأي؟! وهذا يوضح لنا بجلاء أن الرجل يقدر المرأة ذات العقل الحكيم.

إذا لا بد أن يكون المعنى بعيدا عن الذم الذي يفهمه بعض الناس من الحديث، فما المعنى المقصود إذا؟ إن فهم المقصود لا يحتاج منا إلا أن نكمل الحديث فقط لنعرف كيف وضح النبي ﷺ كلامه، لقد سألت الصحابيات رضوان الله عليهن رسول الله ﷺ عن المعنى الذي يقصده.

وإذا قرأنا توضيح النبي ﷺ في الحديث نجده أنه لم يفسر نقصان العقل بأن عقل الرجل أكبر من عقل المرأة! بل فسرها بأن شهادتها نصف الرجل وهذا لأن عاطفتها قد تغلبها وليس في هذا انتقاص لها بل تذكير بطبيعتها العاطفية اللازمة لأداء وظيفتها الأولى في رعاية بيتها وتربية أبنائها.

أما نقصان الدين لأنها لا تصوم ولا تصلي أيام حيضها ونفاسها، ولم يفرق أو يفاضل هنا بين إيمان المرأة وإيمان الرجل، فقد تكون امرأة أكمل إيمانا من كثير من الرجال والنبي صلي الله عليه وسلم قال في الحديث الذي رواه البخاري: «كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا أربع» وعد أسماء النساء وهن آسية زوجة فرعون وخديجة ومريم ابنة عمران وفاطمة بنت محمد ﷺ فالعبرة في الإيمان ليس بذكورة ولا أنوثة، لكن العبرة بقرب الإنسان من الله سبحانه وتعالى وإقامة الطاعات والابتعاد عن المعاصي.

إذا فهمنا المقصود بنقصان العقل هنا، وإلا فكيف ستخلب لب الرجل الحازم دون استخدام عقلها وفطنتها وذكائها؟

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ولكن هذا العقل يحتاج دائما لغذاء ينميه بالقراءة والعلم والثقافة في شتى المجالات والأمور التي تحتاجها المرأة، فكل ملكة تحتاج إلى القراءة والاطلاع في كل ما يخص دينها ودنياها، تعرف أحكام عباداتها وشريعة ربها وجمال دينها، ولا تسمح لأحد بإثارة الشبهات في عقلها وتشكيكها في دينها؛ لأن عندها حصنا منيعا من قوة الإيمان بالعبادة، وفهم حقيقة الأمور بالعلم. تحتاج أن تقرأ وتبحث وتطور نفسها في كل ما من شأنه بناء بيتها على أسس متينة وربط جسور الوفاق بينها وبين زوجها وفهم شخصيته وكيفية التعامل معه بشكل صحيح، وتربية أبنائها بشكل سوي على منهج الإسلام، فتجمع بين ذكائها الفطري وبين العلم فتبهر الجميع بحكمتها ورجاحة عقلها، وعندها لن يجرؤ أحد على اتهام فكرها بالسطحية، وعقلها بالنقصان.

فللأسف بعض النساء ساهمن في ترسيخ هذا الفكر الخاطئ بعدم اهتمامهن بتثقيف أنفسهن، ولا أقصد هنا المستوى التعليمي وإنما الثقافة المعرفية أمر آخر لا يتعلق بمستوى التعليم؛ فكم من امرأة غير متعلمة أبهرت الرجال برجاحة عقلها، وكم من متعلمة بلغت أعلى الدرجات العلمية تثير التعجب من سطحية تفكيرها. إذا في النهاية الأمر بيدك لتثبتي هذه الفكرة في عقول الرجال أو أن تنزعيها للأبد.

هذا العقل الراجح يستطيع أن يذهب بلب الرجل الحازم، فكيف يكون ذلك؟

يقول القرطبي في تفسيره عن قوله تعالى: (**إن كيدكن عظيم**): وإنما قال" **عظيم**" لعظم فتنتهن واحتيالهن في التخلص من ورطتهن.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

فهيا ملكتي جهزي أسلحتك لنبدأ معركة استرجاع الحقوق، وهذه المعركة سلاحها الوحيد العقل والأنوثة، وهما سلاحان فتاكان- لمن تحسن استخدامهما- كفيلان بأن يسقطا أحزم الرجال صريعا لحبك أو أسيرا لهواك.

وحتى تصلي لذلك عليك قراءة شخصية زوجك والبحث عن مفتاحها، وبعدها ستفتح كثير من الأبواب المغلقة في علاقتك بزوجك، المهم أن تجدي المفتاح المناسب له، فكما أن لكل قفل مفتاح لا يفتح إلا به، فلكل إنسان مفتاح لشخصيته خاص به وحده، فتجربة زميلتك مع زوجها قد لا تنجح معك لأن شخصيتهما مختلفة، وحتى تجدي هذا المفتاح عليك قراءة شخصيته جيدا، ومعرفة ما يحبه وما يثير حفيظته، ما هي مميزاته وعيوبه، وأن يظل جهاز الرادار الخاص بك يعمل بنشاط يلتقط تلك الكلمة أو الفعل الذي جعله يغضب، وذلك التصرف الذي جعل الموقف يمر رغم أنك كنت تتوقعين ثورته، وتعلمي علم تحليل الشخصيات وقراءتها، ثم حللي كل ذلك لتعرفي شخصيته، هناك رجل كل ما يحتاج إليه لمسات من الحنان والدلال وكلمات الحب، غيره مفتاحه أن تعلي من قدره وتمدحيه، تشعريه بأهميته ورجولته وأنه فارس الفرسان وبطل الأبطال- ولكن بالطبع لذلك حدود وإلا انقلب السحر على الساحر وجعلت منه طاغية- غيره يحب النظام والنظافة، وهكذا. وكلهم يجمعهم إحساس أن يشعر برجولته وأن كلمته هو العليا في بيته وأن القرارات نابعة منه وحده.

فإذا فعلت ذلك فقد وضعت قدميك على بداية الطريق الصحيح، فإن جزءا كبيرا من مشاكل البيوت وعصبية الزوج وغضبه تستطيع أن تتفاداها الزوجة بذكائها في تعاملها مع زوجها، بل يمكنها بذلك أن تحصل على بعض حقوقها حتى دون

شبكة الألوكة
www.alukah.net

أن يشعر الزوج بأنه أعطاها ما ليس لها من وجهة نظره، وذلك باحتوائها له وتفهمها لحالاته النفسية وقت الكلام، وإدراكها لما يقع عليه من ضغوط خارج المنزل تجعله يفقد أعصابه بسرعة، فتعرف كيف تمتص عصبية زوجها وقت الغضب، ثم بذكائها تضرب الضربة القاضية فتحصل على ما تريده في اللحظة المناسبة وبالشكل المناسب حتى لو كان بطريق غير مباشر، فتأخذ ما تريده من بين فكي الأسد دون أن يشعر بذلك، بل قد يشعر أن فعل ذلك بإرادته الكاملة وأن الكلمة كانت كلمته هو.

فتعلمي فن قراءة الشخصيات والتعامل معها، وستذهبين بلب الرجل الحازم بكل سهولة، كيف لا وأنت ملكة لبيبة فطنة، تعرف ماذا تقول، ومتى تقوله، وكيف تقوله. نعم يا حبيبتي ابدئي الآن وتعلمي وتداركي ما فاتك، فلم يفت الأوان بعد مادام في العمر بقية، حتى لو كان في العمر بضعة أنفاس لماذا لا نصحح أخطاء الماضي ونصلح المسار ونعيش في سعادة وراحة بال؟

إن الفهم الخاطئ لمعنى قوامة الرجل في مجتمعنا يحتاج لامرأة تتمتع بالذكاء لاستغلال أنوثتها وذكائها بل ودهائها أحيانا، بجانب الاستعانة بمهام وظيفتها في بيتها كملكة تهتم بأمور مملكتها ورعيتها، تعتني ببيتها ونظافته ورعاية شؤون زوجها النفسية قبل الجسدية للتأثير عليه فتأخذ حقها كاملا غير منقوص.

فكم من ملكة استطاعت ترويض زوجها وتغيير معاملته معها رغم شدته مع غيرها، ذلك التغيير الذي يتعجب معه الناس، ولكن العجب يختفي حينما نرى كيف تعامله، كيف استطاعت فك شفرته وعرفت من أين تؤكل الكتف،

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وكيف تمتص غضبه بكلامها المعسول ونظراتها وحركاتها وعدم استفزازه، تعرف متى تسكت ومتى تتكلم، وإذا تكلمت فماذا تقول.

وبالطبع لن نصل للكمال فالنقص من طبيعة الإنسان ولن يتغير سلوك وفكر دام لسنوات بل لقرون فجأة بين ليلة وضحاها وإنما يحتاج إلى صبر وسعة صدر وتدرج وتغافل أحيانا، فالتغافل هو سر الحياة الزوجية الناجحة، من خلال غضّ النظر عن بعض الأمور والتفاصيل، فالزوجة الحكيمة هي التي تغضّ النظر عن بعض تصرفات الرجل وتقبل فكرة عدم وجود إنسان كامل، مع عدم التركيز على السلبيات ونسيان الإيجابيات، بل تتذكر الإيجابيات وتتغافل عن السلبيات وتحاول تغيرها بهدوء وذكاء وعقل وحياتها كلها ستتغير بإذن الله.

واعلمي أن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه .. والمرأة إذا انتهجت الرفق بحكمة في تعاملها مع الرجل فإنها لا تدع له مجالا للتذمر كيلا يلوذ بحقه الذي كفله له ((المجتمع الشرقي)) للسيطرة على كافة الأمور خارج البيت وداخله، فلا يمكن أن تصلي لحقك هذا بالانفعال والتحدي واستفزاز رجولته.

فالرجل بل - والذكر عموما وتستطيعين ملاحظة ذلك في ابنك- بحسب طبيعته. عندما يتعرض لمشكلة قد يلجأ للطرق العنيفة سواء بالقول أو الفعل؛ وهذا أمر طبيعي وغريزي، وعندما تعامل المرأة زوجها بندية أو يشعر من كلامها بتهديد أو تحدي فالأمر يتحول إلى استفزاز الرجل وقوته. ولذلك تجد غالبًا المرأة رد فعل قوي جدًا من الرجل فالرجل لن يقبل أن يشعر بأنه ضعيف، ويترجم ذلك في

شبكة الألوكة
www.alukah.net

صورة غضب ليحافظ على كبريائه كرجل، ولذلك فإن الرفق واللين والكلمة الطيبة مفعولها كالسحر مع الزوج.

ويبقى الدعاء السلاح الأقوى، فكم من بيوت تغير حالها بدعوة صادقة. كثيرا ما توقفت متأملة لقول الله تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جميعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[٧١].

سبحانك ربي قلوب العباد بين يديك تقلبها كيف تشاء، قادر على أن تؤلف القلوب، وتقرب البعيد، كل ما كنت تظنينه مستحيلا فهو لا شيء أمام قدرة الله الذي يقول للشيء كن فيكون. فأين أنت من الدعاء؟ أين أنت من ثلث الليل الأخير؟ عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي - ﷺ - **قال :** «**ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل ، فيقول : من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟**»[٧٢]. أين أنت من أوقات إجابة الدعاء؟ ما خاب من رفع يديه إلى الله بالدعاء بصدق، فلا تغفلي عن سلاح الدعاء، بل لا تغفلي عن تحصين حياتك كلها بالأذكار والرقية الشرعية فلعل فيها طردا للشيطان.

وإذا عجزنا عن تغيير حاضرنا واسترداد حقوقنا بالمقدار الذي نريده فهذا ليس معناه اليأس، بل يمكننا العمل على تغيير المستقبل، وأن يكون لنا أثر عظيم في إصلاح الأمة وإظهار عظمة هذا الدين وتكريمه للمرأة، والتصدي لأعداء الإسلام الذين يحاولون إثارة الشبهات حول حقوق المرأة في الإسلام.

[٧١] [الأنفال :٦٣]
[٧٢] متفق عليه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وما زال أمامنا جيل كامل نستطيع أن نبدأ في تغيير مفاهيمه ونظرته للمرأة وحقوقها، فاغرسي في أبنائك وبناتك من نعومة أظافرهن أن للمرأة في الإسلام حقوق.

- اغرسي في أبنائك الذكور خصوصا تلك المعاني وعوديهم على تحمل مسؤوليتهم تجاه أخواتهن البنات منذ الصغر.
- علمي بناتك حقوقهن في الإسلام وأنهن ملكات، وأن عليهن المحافظة على تاجهن وأن يكون لهن دور في توعية النساء بحقوقهن في الإسلام.
- اربطي تفاصيل حياة أبنائك بتعاليم الدين، ليعرفوا أن المقياس الحقيقي للحق والصواب هو الشرع وليس العرف والمجتمع.
- اربطيهم بسيرة النبي ﷺ وأمهات المؤمنين والصحابة والصحابيات واحكي لهم قصصا ومواقف توضح كيفية التعامل بينهم وأن يجعلوهم قدوتهم.
- انقشي ذلك في قلوب وعقول أبنائك وهم صغار وكوني سببا في إنقاذ بيوت كثير من المسلمين من التعاسة والدمار.
- استغلي قدراتك ودورك المجتمعي سواء أكنت داعية أو معلمة في نشر الوعي، وهنا لابد من التنبيه على أمر: إن هذه القضية قضية شائكة وخطيرة فلابد من اختيار كل كلمة بدقة وإلا جاء الأمر بنتيجة عكسية، فأنت تتعاملين مع شخصيات مختلفة، وعدم اختيار كلماتك وعباراتك بدقة قد تفهم بشكل خاطئ وقد تكون سببا للهدم لا البناء والإصلاح، قد تنادين بأن تعرف المرأة حقوقها في الإسلام فتفهم بعض النساء بشكل خاطئ وتبدأ بالتمرد على الرجال.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

- لا تستعجلي الثمرة، فالتغيير يحتاج للكثير من الصبر، فقد تربى الرجل الشرقي تربية معينة تجعله يرى نفسه الآمر الناهي صاحب الكلمة العليا واجبة التنفيذ الفوري دون مناقشة خصوصا لو كانت هذه المناقشة وهذا الرأي من امرأة والأدهى والأمر أن تكون من زوجته، فذلك حسب زعمه وظنه أنه ينتقص من رجولته.

كثيرا ما آلمني ما وصلت إليه بيوت المسلمين من اشتعال دائم وهضم للحقوق ومخالفة لهدي الإسلام، وإذا ما انتهت مشكلة ثم سكنت وغطاها الرماد، يظل بقايا من النار تحت الرماد قابلا للاشتعال في أي لحظة، وحاولت كثيرا التفكير في الأسباب، هل هو البعد عن تعاليم الدين فقط؟ أم هي أسباب اجتماعية، ونفسية، وثقافية؟ هل المسئول عنها الزوج أم الزوجة أم كليهما؟ فالرجال يرون النساء سبب كل المشاكل وما يفعله ليس سوى ردة فعل، والنساء يرين الرجال سببها الفعلي، فمن منهما على صواب؟

في الحقيقة كل هذه العوامل معا سبب ما وصلنا إليه، وإذا أردنا أن نصلح حال الأمة في أي جانب فعلينا أن نعود للمنبع الصافي والتطبيق العملي الناجح لبناء الأمة في البحث عن سيرة النبي ﷺ وزوجاته والصحابة والصحابيات رضوان الله عليهم أجمعين، وإذا كنا تحدثنا عن معاملة نبينا وقدوتنا ﷺ للنساء وقلنا أنها الترجمة الفعلية لحقوق المرأة وكيفية معاملتها في الإسلام، فاليوم نريد أن نتعلم من زوجاته وزوجات الصحابة كيف كان تعاملهن مع أزواجهن؛ لعلنا ننتصر في معركتنا للحصول على حقوقنا، وقد حضرني الآن مقولة لعلها تكون خطوة أخرى على الطريق: **"كوني له كفاطمة يكن لك كعلي".**

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لقد نجحت الصحابيات في بناء بيوت مستقرة بفطرتهن وفطنتهن، وإذا أردنا أن نضع أسسا متينة للإصلاح فعلينا أن نتعلم منهن ونطبق أفعالهن، فهي أيضا التطبيق العملي لما يجب عليه أن تكون الزوجة في الإسلام، ولن يصلح حال هذه الأمة لما بما صَلُح به أولها.

فهل تعرفن كيف كانت الصحابيات يتعاملن مع أزواجهن؟

إن لأمهات المؤمنين والصحابيات مواقف عظيمة لابد أن نقف عندها ونعيها بل ونطبقها ففيها بإذن الله صلاح حياتنا، ولنضرب فقط بعض الأمثلة:

ماذا تفعل الزوجة إذا أخطأت في أمر بسلامة نية وبدأ زوجها يعاتبها؟ هل تحاول التبرير؟ أم هل ترد على كلامه وقد يشتد النقاش ويتحول العتاب إلى صدام؟

انظرن إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها رغم صغر سنها كيف استطاعت أن تكسب قلب زوجها خير البرية، وذلك لأنها كانت تعرف متى تتكلم ومتى تسكت ومتى تغير دفة الحديث.

فهذه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تحكي لنا في الحديث الذي رواه مسلم وتقول: «لَمَّا كَانَتْ لَيْلَتِي الَّتِي كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِيهَا عِنْدِي، انْقَلَبَ فَوَضَعَ رِدَاءَهُ، وَخَلَعَ نَعْلَيْهِ، فَوَضَعَهُما عِنْدَ رِجْلَيْهِ، وَبَسَطَ طَرَفَ إِزَارِهِ عَلَى فِرَاشِهِ، فَاضْطَجَعَ، فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا رَيْثَمَا ظَنَّ أَنْ قَدْ رَقَدْتُ، فَأَخَذَ رِدَاءَهُ رُوَيْدًا، وَانْتَعَلَ رُوَيْدًا، وَفَتَحَ

شبكة الألوكة
www.alukah.net

البَابَ فَخَرَجَ، ثُمَّ أَجَافَهُ رُوَيْدًا، فَجَعَلْتُ دِرْعِي فِي رَأْسِي، وَاخْتَمَرْتُ، وَتَقَنَّعْتُ إِزَارِي، ثُمَّ انْطَلَقْتُ عَلَى إِثْرِهِ، حَتَّى جَاءَ البَقِيعَ فَقَامَ، فَأَطَالَ القِيَامَ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ انْحَرَفَ فَانْحَرَفْتُ، فَأَسْرَعَ فَأَسْرَعْتُ، فَهَرْوَلَ فَهَرْوَلْتُ، فَأَحْضَرَ فَأَحْضَرْتُ، فَسَبَقْتُهُ فَدَخَلْتُ، فَلَيْسَ إِلَّا أَنِ اضْطَجَعْتُ فَدَخَلَ، فَقَالَ: مَا لَكِ يَا عَائِشُ؟ حَشْيَا رَابِيَةً؟ قَالَتْ: قُلْتُ: لَا شَيْءَ، قَالَ: لَتُخْبِرِينِي، أَوْ لَيُخْبِرَنِّي اللَّطِيفُ الخَبِيرُ، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، فَأَخْبَرْتُهُ، قَالَ: فَأَنْتِ السَّوَادُ الذِي رَأَيْتُ أَمَامِي؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فَلَهَدَنِي فِي صَدْرِي لَهْدَةً أَوْجَعَتْنِي، ثُمَّ قَالَ: أَظَنَنْتِ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْكِ وَرَسولُهُ؟! قَالَتْ: مَهْما يَكْتُمِ النَّاسُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ، نَعَمْ، قَالَ: فَإِنَّ جِبْرِيلَ أَتَانِي حِينَ رَأَيْتِ، فَنَادَانِي، فَأَخْفَاهُ مِنْكِ، فَأَجَبْتُهُ، فَأَخْفَيْتُهُ مِنْكِ، وَلَمْ يَكُنْ يَدْخُلُ عَلَيْكِ وَقَدْ وَضَعْتِ ثِيَابَكِ، وَظَنَنْتُ أَنْ قَدْ رَقَدْتِ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَكِ، وَخَشِيتُ أَنْ تَسْتَوْحِشِي، فَقَالَ: إِنَّ رَبَّكَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَأْتِيَ أَهْلَ البَقِيعِ فَتَسْتَغْفِرَ لَهُمْ، قَالَتْ: قُلْتُ: كَيْفَ أَقُولُ لَهُمْ يَا رَسولَ اللهِ؟ قَالَ: قُولِي: السَّلَامُ عَلَى أَهْلِ الدِّيَارِ مِنَ المُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَيَرْحَمُ اللَّهُ المُسْتَقْدِمِينَ مِنَّا وَالْمُسْتَأْخِرِينَ، وَإِنَّا -إِنْ شَاءَ اللَّهُ- بِكُمْ لَلَاحِقُونَ».

النبي ﷺ يقول لها: (**أَظَنَنْتِ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْكِ وَرَسولُهُ؟! قَالَتْ: مَهْما يَكْتُمِ النَّاسُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ**) ويحكي لها ما حدث، كان من الممكن أن تتحدث عن غيرتها عليه وأن تبرر وتحكي هي أيضا لماذا فعلت هذا وتتأزم الأمور، ولكنها غيرت دفة الحديث بذكاء شديد وقالت للنبي ﷺ: **(كيفَ أَقُولُ لهمْ يا رَسولَ اللهِ؟)**.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ماذا تفعل الزوجة إذا تطور الأمر وحصل من زوجها ما لا يعجبها، كيف يمكنها أن تظهر غضبها وعدم رضاها عن الموقف؟

بعض النساء عندما تريد إظهار اعتراضها وغضبها يكون وسيلتها إلى ذلك إعلان حالة النكد العام في المنزل، ويعيش البيت في حالة حداد لأيام، وبالطبع سيكون رد الفعل مضاعفة هذا النكد بنكد أكبر والفائز فيهما من سيكون أكثر استسلاما لوساوس الشيطان، وفي الحقيقة لن يفوز أحد بل كلاهما خاسران.

أما ملكتنا الفطنة تعرف كيف تقطع سبل الشيطان، دون أن تتنازل عن حقها في إظهار غضبها، ولكن المهم كيف تفعل ذلك، ستبين لزوجها أن هناك ما يغضبها دون أن تقلب البيت نكدا وحزنا وسيفهم الزوج أقل تغيير في معاملة الزوجة له: ففي الحديث الذي روته لنا أمنا وقدوتنا عائشة رضي الله عنها نجد نبي الله ﷺ يقول لها: «إِنِّي لأَعْلَمُ إِذَا كُنْتِ عَنِّي رَاضِيَةً، وإِذَا كُنْتِ عَلَيَّ غَضْبَى قالَتْ فَقُلتُ: وَمِنْ أَيْنَ تَعْرِفُ ذلكَ؟ قالَ: أَمَّا إِذَا كُنْتِ عَنِّي رَاضِيَةً، فإنَّكِ تَقُولِينَ: لا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ وإِذَا كُنْتِ غَضْبَى، قُلْتِ: لَا، وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ قالَتْ قُلتُ: أَجَلْ، وَاللَّهِ يا رَسُولَ اللهِ، ما أَهْجُرُ إِلَّا اسْمَكَ»[٧٣].

أقل تغيير في معاملة الزوجة لزوجها سيعرفه، تلك القبلة التي كانت تطبعها على جبينه وهو خارج للعمل وتوقفت عنها ستحدث تأثيرا حتى لو كانت ضحكاتها وكلماتها معه تملأ المكان. تلك الرسالة التي اعتادت على إرسالها له على هاتفه سيفتقدها وإن لم يعترف بذلك. لديها وسائل سلمية كثيرة لإعلان أن هناك ما تعترض عليه فلماذا إعلان الحرب إذا؟

[٧٣] رواه مسلم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الغيرة

بعض النساء يعانين من غيرة الرجال عليهن، وتشعر بأنها طوق حول عنقها يؤذيها ويخنقها.

أعرف أن الغيرة أمر غير هين، ولكنه طبع يصعب تغييره عند الرجال، وإذا أرادت ملكتنا أن تذهب لب زوجها عليها أن تراعي مشاعر زوجها وغيرته وتعرف ما يبغضه فتحذر منه، في حضوره وغيابه.

لقد حدث هذا الموقف مع أسماء بنت بي بكر وكانت غيرة زوجها الزبير بن العوام شديدة، وها هي تحكي لنا موقف حدث معها جاء في صحيح البخاري وتقول: «تَزَوَّجَنِي الزُّبَيْرُ وما له في الأَرْضِ مِن مالٍ ولا مَمْلُوكٍ، ولا شَيءٍ؛ غيرَ ناضِحٍ وغَيْرَ فَرَسِه، فَكُنْتُ أعْلِفُ فَرَسَهُ، وأَسْتَقِي الماءَ، وأَخْرِزُ غَرْبَهُ، وأَعْجِنُ، ولَمْ أَكُنْ أُحْسِنُ أَخْبِزُ، وكانَ يَخْبِزُ جاراتٌ لي مِنَ الأنْصارِ، وكُنَّ نِسْوَةَ صِدْقٍ، وكُنْتُ أنْقُلُ النَّوَى مِن أرْضِ الزُّبَيْرِ الَّتي أقْطَعَهُ رَسولُ اللَّهِ ﷺ علَى رَأْسِي، وهي مِنِّي علَى ثُلُثَيْ فَرْسَخٍ، فَجِئْتُ يَوْمًا والنَّوَى علَى رَأْسِي، فَلَقِيتُ رَسولَ اللَّهِ ﷺ ومعهُ نَفَرٌ مِنَ الأنْصارِ، فَدَعانِي، ثُمَّ قالَ: إخْ إخْ؛ لِيَحْمِلَنِي خَلْفَهُ، فاسْتَحْيَيْتُ أنْ أسِيرَ مع الرِّجالِ، وذَكَرْتُ الزُّبَيْرَ وغَيْرَتَهُ، وكانَ أغْيَرَ النَّاسِ، فَعَرَفَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ أنِّي قَدِ اسْتَحْيَيْتُ، فَمَضَى، فَجِئْتُ الزُّبَيْرَ فَقُلتُ: لَقِيَنِي رَسولُ اللَّهِ ﷺ وعلَى رَأْسِي النَّوَى، ومعهُ نَفَرٌ مِن أصْحابِهِ، فأناخَ لِأَرْكَبَ، فاسْتَحْيَيْتُ منه وعَرَفْتُ غَيْرَتَكَ، فقالَ: واللَّهِ لَحَمْلُكِ النَّوَى كانَ أشَدَّ عَلَيَّ مِن رُكُوبِكِ معهُ، قالَتْ:حتَّى أرْسَلَ إلَيَّ أبو بَكْرٍ بَعْدَ ذلكَ بخادِمٍ تَكْفِينِي سِياسَةَ الفَرَسِ، فَكَأنَّما أعْتَقَنِي».

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لله درك يا أسماء رغم تعبك في حمل النوى لتساعدي زوجك حتى أشفق عليك رسول الله ﷺ، رغم أن من كنت ستركبين معك ليخفف عنك هذا المجهود الكبير هو رسول الله ﷺ، إلا أنك رفضتِ مراعاة لمشاعر زوجك وغيرته.

وتأملن الحوار بين أسماء وزوجها الزبير رضي الله عنهما إنه حديث يقطر حبا، أتخيل وأنا أنظر إليهما لأشاهد نظرات الحب لكليهما. لقد تفهمت غيرة زوجها وأنه لو لم يكن يحبها لما غار عليه، تفهمت أنا هذا طبعه فاحترمته. وها هي النتيجة تقدير زوجها لفعلها، فهو يعلن لها أن ألمه لتعبها في حمل النوى أشد عليه من ألم غيرته لو كانت ركبت مع رسول الله ﷺ وسارت بين الصحابة.

وهل رأيت كيف كانت تساعد أسماء زوجها؟ هكذا كانت نساء الصحابة لا تجد إحداهن أي غضاضة في مساعدة زوجها والمشقة والتعب رغم أنها ملكة ليس لها المشقة ولا تعب، ولكن هذا هو الحب وهذه هي المشاعر التي تجعل الزوجة تتحمل مشقة العمل بصدر رحب لتساعد زوجها، كما فعلت أسماء رضي الله عنها فهي تحكي لنا كيف تزوجها الزبير وهو فقير لا يملك إلا إبل أو أرض للزراعة وفرسه، فماذا كانت تفعل؟ قالت: «**فكنت أعلف فرسه**»، وزاد مسلم: «**وأكفيه مؤونته، وأسوسه، وأدق النوى لناضحه وأعلفه**»، قالت: «**وأستقي الماء**» فأجلبه من منبعه إلى مكان الإقامة؛ حيث يشرب الجمل والحصان، «**وأخرز غربه**» والخرز هو خياطة بعض الجلود لصنع الغرب، وهو الدلو والإناء الكبير، وأعجن الدقيق لإعداد الخبز. وكانت تنقل نوى التمر على رأسها من أرض الزبير التي أعطاها له رسول الله ﷺ، فكم كانت هذه الأرض تبعد عن مسكنها؟ كانت تبعد ٤ كيلومترات تقريبا.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وهذه فاطمة سيدة نساء الجنة وبنت الرسول ﷺ قد أثر في يدها الرحى من كثرة العمل وشدته. نعم قلنا مرارا وتكرارا أن المرأة لا تطالب بكل ذلك ولكنهن كن يحرصن على مساعدة أزواجهن رغبة في حسن العشرة لأزواجهن، هل علمتن الآن أن الأمر ليس حقي وحقك وإنما هو رغبة من الزوجة في مساعدة زوجها وتقدير من الزوج لتعب زوجته؟، إنه الحب الحقيقي في أسمى معانيه.

ماذا تفعل الزوجة عندما يكون زوجها نائم مثلا؟ هل جعلت من أولوياتها وقتها توفير الهدوء لينام بعد عناء العمل وضغوطه؟ هل تحث أبناءها على الهدوء وتوقف أي عمل قد يصدر صوتا؟ أم أن الحياة تستمر بشكل عادي؟

تحكي لنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عندما خرجت مع النبي ﷺ في غزوة من الغزوات وانقطع عقد لها فإذا برسول الله ﷺ يوقف سير الجيش ليبحث عن عقدها ويبحث عنه بعض الناس أيضا ثم نام رسول الله ﷺ.

تقول أمنا رضي الله عنها: «جاء أبو بكر ورسول الله ﷺ واضعًا رأسه على فخذي قد نام، فقال: حبست رسول الله ﷺ والناس، وليسوا على ماء، وليس معهم ماء، فعاتبني أبو بكر، وقال ما شاء الله أن يقول، وجعل يطعن بيده في خاصرتي، ولا يمنعني من التحرُّك إلا مكان رسول الله ﷺ على فخذي»[٧٤].

سبحان الله أبوها يطعنها بأصابعه في خصرها وهي تتحمل الألم وتحرص على عدم التحرك حتى لا تزعج رسول الله ﷺ وهو نائم. هذا هو الحب والحرص على راحة

---

[٧٤] رواه مسلم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الحبيب، فكيف بعد ذلك لا يوقف الجيش ليبحث عن عقدها وهو يعلم أنها حريصة على راحته؟ كيف لا يعلن حبه لها في كل مكان؟

إن غذاء الحب هو حسن العشرة، وعندما يشعر الزوج أن زوجته تحبه وتحرص على راحته وتقف بجواره سيحبها حتما حتى وإن لم يعلن ذلك لها، لكن النبي ﷺ كان يعلنه: فعن عائشة رضي الله عنها: «كان النَّبيُّ ﷺ إذا ذكَرَ خَديجةَ أَثْنى عليها، فأحسَنَ الثناءَ، قالت: فغِرْتُ يومًا، فقُلْتُ: ما أكثرَ ما تذكُرُها حَمراءَ الشِّدْقِ، قد أبدَلَكَ اللهُ عزَّ وجلَّ بها خَيرًا منها، قال: ما أبدَلَني اللهُ عزَّ وجلَّ خَيرًا منها، قد آمَنَتْ بي إذ كفَرَ بي الناسُ، وصدَّقَتْني إذ كذَّبَني الناسُ، وواسَتْني بمالِها إذ حرَمَني الناسُ»[٧٥].

إن من أهم السبل إلى قلب وعقل زوجك أن يرسخ في ذهنه بحسن عشرتك له حبك له وحرصك عليه، ووقتها ستِفتح لك المزيد من الأبواب المغلقة.

وماذا تفعل عندما يعود زوجها من العمل مهموما حزينا؟

إن الزوجة تهون على زوجها وتشعره بالأمان إذا أصابه ما يزعجه ويقلقه، أليس المسلمين كالجسد الواحد؟ فما بالك بالزوج؟! كيف تفعل ذلك ثم لا يِسرع إليها شاكيا شاعرا بالأمان إذا أصابه مكروه؟ وكيف تفعل ذلك ثم لا تُذهب بعقله ولُبِّه؟

[٧٥] رواه البخاري ومسلم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

عن عائشة أُمِّ المؤمنين رضي الله عنها قالت في حادثة مجيء الملك للرسول ﷺ، في بداية الوحي: إنه رجع يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد، فقال: «زمِّلُوني زمِّلُوني»، فزمَّلُوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي، فقالت خديجة: **(كلا والله ما يخزيك الله أبدًا، إنك تصِل الرَّحِم، وتحمل الكلَّ، وتكسب المعدوم، وتُقري الضيف، وتُعين على نوائب الحق)**[٧٦].

ولم ينس لها رسول الله ﷺ ذلك أبدا.

وإذا كانت خير سند ومعين له عند الشدائد فهي حكيمة أيضا عند إخباره بما يكره، فتخفف عنه صدمة الخبر بطريقة عرضها له، إنه الحرص على أن تخفف عنه حزنه وألمه، فما بالكم إذا كان المُصاب مصابها أيضا وقد يكون ألمها أكبر وأعظم.

فهل تعرفن الرميصاء أم سليم؟ كان زوجها أبو طلحة غائبا وحين غادر كان ابنهما الصغير مريضا ومات في غيابه، وما إن سمعت صوت زوجها العائد حتى استقبلته بحفاوة، وقدمت له طعامه ثم تزينت له زينة العروس لزوجها ليلة العرس، ولكنه سألها عن الولد، فإذا به تجيبه فى ذكاء ولباقة: هو أسكن من ذى قبل، ثم تحيَّن الزوجة الصابرة الفرصة، وتخبره الخبر بذكاء وفطنة بكلمات كلها حنان وحكمة قائلة له: يا أبا طلحة...أرأيت لو أن قومًا أعاروا أهل بيت عارية، فطلبوا عاريتهم، أيمنعونهم؟! قال: ليس لهم ذلك، إن العارية مؤداة إلى أهلها. فلما انتزعت منه

[٧٦] متفق عليه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

هذا الجواب، قالت: إن الله أعارنا ابننا، ثم أخذه مِنَّا، فاحتسِبْه عند الله.. قال: إنا لله وإنا إليه راجعون. ووجد فى نفسه مما فعلت زوجته. فلما لاح الفجر، ذهب أبو طلحة إلى النبي (يخبره بما كان من زوجه أم سليم، فيقول النبي (:"بارك الله لكما في ليلتكما" فوُلد لأم سليم وزوجها من تلك الليلة عبد الله بن أبى طلحة فكان لعبد الله عشرة من الولد، كلهم قد حفظ القرآن الكريم.

نذهب للمظهر الخارجي، فالعين يجذبها ويلفت نظرها الجمال، وأقرب مثال على ذلك طريقة تقديم الطعام قد تفتح شهيتك، فهل تتأثر نفسيتك وردود أفعالك بجمال المكان من حولك؟

لا يمكن أن ننسى سلاح الأنوثة الذي يصيب الزوج في مقتل لا محالة، فشتان بين من يعود زوجها من العمل ليرى بيته نظيفا وزوجته في أبهى زينتها تنتظره على الباب بشوق وكلمات ترحيب، وبين من يعود بعد طول عناء في العمل ينتظر أن يعود للمنزل ليرتاح ويسكن إلى زوجته ويأنس فإذا بالبيت غير نظيف، والزوجة بملابس التنظيف يعلوها رائحة البصل والثوم والعرق، شعرها غير مصفف، والعبوس على وجهها.

قد يكون ذلك سببا لتوتر الزوج خصوصا لو كان من طبعه النظام والنظافة وهذا مفتاح من أهم مفاتيح الزوج، أو نقول مفتاح من أهم مفاتيح جذب الزوج إليك وهذا أمر حرصت عليه الصحابيات كثيرا ونراه في أحاديث كثيرة بشكل مباشر وغير مباشر.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل عليَّ رسول الله ﷺ، فرأى في يدي فتخات من ورقٍ، فقال: «ما هذا يا عائشة؟»، فقلتُ: "صنعتُهُنَّ أتزيَّنُ لك يا رسول الله"[٧٧]، وعنها رضي الله قالت: «خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، حتى إذا كنا بالبيداء - أو بذات الجيش - انقطع عقد لي»[٧٨].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: وفي هذا الحديث من الفوائد: اتخاذهن [أي الزوجات] الحلي تجمُّلًا لأزواجهن.

وعن عون بن أبي جحيفة، عن أبيه رضي الله عنه، قال: «آخى رسول الله ﷺ، بين سلمان وأبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أمَّ الدرداء مُتبذِّلة، فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا»[٧٩].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "وفي هذا الحديث مشروعية تزيُّن المرأة لزوجها".

لقد استهجن سليمان الفارسي رضي الله عنه ما وجده عندما زار أبا الدرداء رضي الله عنه فقد كانت امرأته تلبس ملابس عمل البيت، فهذا غير مقبول أبدا.

وقديمًا قالت أمامة بنت الحارث في وصيتها المشهورة لابنتها قبل زفافها: "...التفقد لموضع أنفه، والتعهد لموضع عينه، فلا تقع عيناه منك على قبيح، ولا يشم منك إلا أطيب ريح، وإن الكحل أحسن الموجود، والماء أطيب الطيب المفقود".

[٧٧] رواه أبو داود
رواه البخاري[٧٨]
رواه البخاري[٧٩]

شبكة الألوكة
www.alukah.net

فماذا عن معاملاته المالية؟ هل تشجعه على فعل الخير؟ هل يشعر أن اهتماماتها موافقة لاهتماماته؟ وأنها تتفهم ما يقوم به من خير وتشجعه عليه؟ أم تلومه؟

عن أنس رضي الله عنه: «أن رجلًا قال يا رسول الله، إن لفلان نخلة، وأنا أقيم حائطي بها، فمُرْه أن يعطيني بها، فقال له النبي ﷺ: ((أعْطِها إيَّاه بنخلة في الجنة))، فأبى، وأتاه أبو الدرداح، فقال: بعني نخلك بحائطي، ففعل فأتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، إني قد ابتعت النخلة بحائطي، فاجعلها له، فقال النبي ﷺ: ((كم من عذق رداح لأبي الدحداح في الجنة)) مرارًا، فأتى امرأته فقال: يا أم الدحداح، اخرجي من الحائط، فإني بعته بنخلة في الجنة، فقالت: قد ربحت البيع»[٨٠].

يشتري نخلة واحدة ببستان كامل لأنه يريد نخلة في الجنة!

هذا جانب من معاملة أمهات المؤمنين والصحابة لأزواجهن، ولعلنا بذلك نعرف كيف كسبن قلوب أزواجهن، وحصلن على جانب من حقوقهن، فجانب من الحصول على تلك الحقوق مرتبط بمدى إيمان الزوج وفهم تعاليم الدين وتطبيقها، وثقافة المجتمع، وهذا ليس بأيدينا تغيره حاليا أو بشكل مباشر، لكن هناك جانب آخر لنا فيه تأثير واضح للوصول إلى بعض هذه الحقوق، ذلك الجانب يحتاج منا إلى عمل وجهد، وسنصل إلى تأثير ونتيجة بإذن الله ولو احتاج ذلك إلى وقت؛ فنحن نهدم أفكارا ترسخت لدى الزوج عن زوجته من سنوات أولا ثم نبني الثقة والجسور من جديد، فلا تستعجلي الثمرة فهي ثمرة مضمونة بإذن الله.

---

[٨٠] أخرجه الحاكم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

كانت تلك أمورا عامة يشترك فيها الجميع، لكن يظل هناك خطوطا حمراء عند كل رجل تختلف من زوج لآخر، تلك الخطوط تشبه المنطقة العسكرية يمنع الاقتراب منها، تلك المناطق تكونت نتيجة أمور مر بها الزوج أثرت في شخصيته ونفسيته وكونت له حساسية من بعض الكلمات والأفعال التي قد تظنينها بسيطة ولكنها عنده عظيمة فكوني فطنة في التعامل مع هذه الكلمات والأفعال، ولا تضعي نفسك في موقف صدام معه بسببها لأنك ستكونين الخاسرة دائما، وستكون هذه الخطوط مصدر إشعال الحرائق في البيت دائما إذا لم تنتبهي لها، فلا تحاولي استفزازه وإثارتها، فمعالجتها تحتاج إلى الحكمة والكثير من الدعاء.

أيضا تعلمين أن لشخصيته أفكارا ولحياته طقوسا ليست جوهرية في حياتك حتى وإن خالفت رغبتك وميولك، فلماذا نجعلها سببا للخصومة والشقاق؟ أنت ملكة عاقلة تعرفين قدرك، ولن ينقص من قيمتك أبدا إذا قال لك ضعي هذا الشيء في ذلك المكان، أو قال: أحب كذا أو قومي بكذا مالم يكن فيه ضرر. والملكة تعرف صالحها وصالح رعيتها ومملكتها، وتعلم أنها بطاعتها في مثل هذه الأمور البسيطة قبل أن تريح زوجها فهي تريح بالها وتغنى بيتها عن كثير من المشاكل، والأهم أنها تحصل على الأجر العظيم.

وهنا قد يتبادر سؤال لذهن الزوجة وهو:

لماذا علي أن أكون أنا المبادرة دوما والساعية للبحث عن خطوات عملية للتعامل مع زوج في الوقت الذي لا يحاول هو ذلك؟

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لن تتركك شياطين الإنس والجن عند محاولة التقرب من زوجك وإصلاح ما فسد بينكما، وأول ما ستوسوس لك به لماذا أنت عليك أن تكوني صاحبة الخطوات الأولى نحو الإصلاح دوما؟ لماذا ليس الرجل؟ فلا تسمحي لهم بتلويثك بتلك الأفكار، فليس عيبا أن تكون الزوجة هي المبادرة تحسب لكلماتها وأفعالها حسابا، وتحاول أن تتفادى المشاكل وتكسب ود زوجها لتستقر أمور حياتهما وحياة أبنائهما. بل هذا هو الطبيعي والمنطقي؛ فالمرأة أعطيت من الصفات ما يوافق طبيعة وظيفتها في الدنيا فهي الأم والأخت والابنة الحانية الودودة، مشاعرها تقطر رقة وحنانا وعطفا، تضم كل من حولها ضمة كلها احتواء وتفهم.

ألا تصدقين؟! إذا فتأملي طريقة تعاملك مع أولادك هل هي كتعامل الأب؟ بالطبع لا، لأن الخالق الحكيم سبحانه أودع في فطرتك الصبر وقدرة التحمل، لن يستطيع أب أن يتحمل بكاء طفله الرضيع بضع دقائق، لكن انظري إلى عطائك وحنانك وصبرك وتحملك وسعة صدرك.

أرأيت يا ملكتي؟ شتان بين قدراتك وقدرات الرجل، ولذلك لا تسمحي لهم بمنعك وتثبيطك عن غايتك وما أعظمها وأجلُّها من غاية.

ألا تريدين أجر الجهاد والجمع والجماعات وكل العبادات التي جعلت للرجل لأنها تناسب وتوافق بنية جسمه وطبيعة دوره في الحياة؟ هل تمنيت يوما أن يكون لك هذا الثواب؟ هل ترغبين في ذلك أيتها الملكة الراغبة في المزيد من الحسنات والرفعة في الدرجات، فأنت ملكة ترغبين دوما في أعلى المنازل وما أعظمها إذا كانت في الجنات، لا بأس يمكنك الحصول عليها.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقد سبقتك لتلك الرغبة صحابية جليلة اسمها أسماء بنت يزيد الأنصارية، جاءت النبي ﷺ لتسأله سؤالا فهيا بنا نعرف ماذا قال لها النبي ﷺ؟

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ قُعُودٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ أَتَتْهُ امْرَأَةٌ ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا وَافِدَةُ النِّسَاءِ إِلَيْكَ ، يَا رَسُولَ اللَّهِ : رَبُّ الرِّجَالِ وَرَبُّ النِّسَاءِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَآدَمُ أَبُو الرِّجَالِ وَأَبُو النِّسَاءِ ، وَحَوَّاء أُمُّ الرِّجَالِ وَأُمُّ النِّسَاءِ ، وَبَعَثَكَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ ، فَالرِّجَالُ إِذَا خَرَجُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقُتِلُوا فَهُمْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ، وَإِذَا خَرَجُوا فَلَهُمْ مِنَ الْأَجْرِ مَا قَدْ عَلِمْتَ، وَنَحْنُ نَخْدُمُهُمْ وَنَحْبِسُ أَنْفُسَنَا عَلَيْهِمْ ، فَمَاذَا لَنَا مِنَ الْأَجْرِ؟ فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَقْرِئِي النِّسَاءَ مِنِّي السَّلَامَ وَقُولِي لَهُنَّ: إِنَّ طَاعَةَ الزَّوْجِ تَعْدِلُ مَا هُنَالِكَ ، وَقَلِيلٌ مِنْكُنَّ تَفْعَلُهُ»[٨١].

هل رأيتن السؤال؟ بل هل رأيتن معرفتها بقدر النساء وأنهن لسن أقل من الرجال في شيء في أصل الخلقة ولا في التكاليف الشرعية، كل له دوره وواجباته، ولكن الرجال كلفوا بأمور في الشرع لم تكلف بها النساء وتريد ألا يفوتها هذا الثواب. فماذا كان الجواب؟

يا الله! طاعة الزوجة لزوجها تعدل الجهاد والشهادة في سبيل الله؟

لطالما توقفت عند هذا الحديث متعجبة، وكأنك تعلم يا رسول الله ﷺ ما ستعانيه النساء في بيوتهن من الأزواج، تعلم أن طاعة الزوج وإرضاءه ليست بالأمر اليسير بل هي تحتاج إلى جهاد، تعلم أن بعض تفكير الزوج وطبيعته يختلف عن تفكير

[٨١] رواه أبو داود وإسناده جيد

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الزوجة وطبيعتها ولذلك قد تكون طاعته شاقة عليها بعض الشيء، قد يكون أسلوبه منفرا وقاسيا وهو يطلب ما يريد، وقد يكون فيه حرمان للزوجة مما تريد، ولهذا فهي تجاهد نفسها فاستحقت أجر المجاهد والشهيد. نبيك يشعر بك، يشعر بمجاهدتك، يعلم أن طاعة الزوج قد يكون فيها مشقة عليك، ألا تريدين الثواب؟

ولكن لم ينته الجواب بعد، لم ينته الحديث بعد، انتهبي لآخر عبارة، انتبهي واحرصي على أن تكوني من هذا القليل: ((وَقَلِيلٌ مِنْكُنَّ تَفْعَلُهُ)).

نعم يا رسول الله، ولهذا هدمت كثير من البيوت، ولذلك كثر الطلاق وتشريد الأطفال، لأن أيادي العابثين وأصواتهم المغرضة صورت أن قوامة الرجل وطاعة المرأة لزوجها تعدٍّ على حقوقها، وأسر لحريتها وحط من قدرها، طالبتها بأن تزيل تلك الدرجة التي أعطاها ربها لزوجها لحكمة - لعلنا الآن أدركناها - فأخذت تعامل زوجها ندا لند، زرعوا في عقلها أن الإسلام قد أهانها وما وجدنا من الإسلام إلا إكراما وإعزازا.

راجعي نفسك مليكتي وعندما تطالبين بحقوقك إياك أن تنسي واجباتك.

نعم هي حقوق محفوظة وواجبات مطلوبة، ولكن في الحقيقة الحياة الزوجية لا تبنى على الحقوق والواجبات وإنما على الحب والاحترام. لو كانت الحياة الزوجية مبنية على الحب ستسارع الزوجة إلى عمل ما يحبه زوجها بطيب نفس، وهو سيحرص على عمل ما يرضيها حتى لو كان ضد رغبته. لكن عندما يكون أساس

شبكة الألوكة
www.alukah.net

العلاقة بينهما مبني على "حقي وحقك" وكل منهما يفكر فيما له من حقوق عند شريكه قبل أن يقدم له واجباته، لن تكون حياة زوجية فيها السكن والود والمحبة، قد تسير الحياة وتمضي، لكنها لن تكون أبدا حياة سعيدة.

ونحتاج أن نقرأ هذا الحديث، لأنه يوضح لنا أمور كثيرة: قال ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى المَاءِ ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ فِي النَّاسِ فَأَقْرَبُهُمْ عِنْدَهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ عِنْدَهُ فِتْنَةً، يَجِيءُ أَحَدَهُمْ فَيَقُولُ مَا زِلْتُ بِفُلاَنٍ حَتَّى تَرَكْتُهُ وَهُوَ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا. فَيَقُولَ إِبْلِيسُ لاَ وَاللَّهِ مَا صَنَعْتُ شَيْئاً. وَيَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَهْلِهِ. قَالَ فَيُقَرِّبُهُ وَيُدْنِيهِ (ويلتزمه) وَيَقُولُ نِعَمَ أَنْتَ»[٨٢].

مشاكل كثيرة في حياتنا قد تكون بسيطة وتافهة ولكننا نسمح للشيطان أن يضخمها ويجعلها كبيرة ولو استعذنا بالله من الشيطان الرجيم وتنبهنا لمكائده كنا قضينا على أغلبنا مشاكلنا.

يقال أن إبليس أراد الرحيل من مكان كان يسكن فيه مع أبنائه، فرأى أحد أولاده خيمة فقال : لا أُغادرن حتى أفعلن بهم الأفاعيل، فذهب إلى الخيمة فوجد بقرة مربوطة بوتد، ووجد امرأة تحلب هذه البقرة، فقام فحرك الوتد فخافت البقرة وهاجت، فانقلب الحليب على الأرض ودهست ابن المرأة الذى كان يجلس بجوار أمه وهى تحلبها فقتلته دهسا، فغضبت المرأة فدفعت البقرة وضربتها بشدة وطعنتها بالسكين طعنا مميتا فسقطت البقرة وماتت فجاء زوجها فرأى طفله و البقرة فطلق زوجته وضربها، فجاء قومها فضربوه، فجاء قومه فاقتتلوا واشتبكوا،

[٨٢] صحيح الجامع

شبكة الألوكة
www.alukah.net

تعجب إبليس فسأل ولده ويحك ما الذي فعلت؟ قال لا شيء فقط : حركت الوتد.

فلا تسمحي له أن يحرك الوتد ويهدم بيتك، وكلما أحسست أنه بدأ يوسوس قاوميه فورا واذكري الله واستعيذي بالله منه.

تحكي إحدى الأخوات عن تجربة مرت بها وتقول: **"حدثت مشكلة بيني وبين زوجي لأمر كنت أرى أني غير مخطئة فيه لأنه حدث دون قصد، لكن ثار زوجي كثيرا ثم تركني ونزل ليصلي في المسجد، وخلال تلك الفترة كنت في حالة غضب شديد، شعرت بما نقرؤه في القصص عندما نقرأ وانتفخت أوداجه من الغضب واحمر وجهه، وظللت أردد داخل عقلي كيف يقول ذلك، وكيف وكيف، ولن أسكت عندما يعود، ثم خطر ببالي أن أستعيذ بالله من الشيطان الرجيم، فحدث أمر نبهني لشيء خطير، فبمجرد قولها شعرت وكأن ماء نزل على نار داخلي فأطفأها، ذلك الفرق بين الشعورين بمجرد الاستعاذة نبهني إلى دور الشيطان في إشعال البيوت".** كانت تلك قصتها وقد فطنت لدور الشيطان وتعلمت الدرس جيدا، فماذا سنفعل نحن لنفسد على الشيطان خططه؟ أترككم مع هذا السؤال لتجاوب كل منا عليه.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وأخيرا يا ملكتي نصيحة من أخت محبة:

في أي مشكلة تواجهينها في حياتك توقفي لحظة صدق مع نفسك، فقد يكون جزءا كبيرا من حلها وعلاجها بيدك أنت، قد يكون استقرار بيتك وراحة بالك ونيل حب زوجك بيدك أنت، نعم فأنت اللبيبة العاقلة التي تستطيع أن تفعل ما لا يفعله الرجال، أنت الموهوبة ذات الأسلحة التي تفتك بأحزم الرجال، أنت الذكية التي ذُكر دهاؤها في القرآن فقال: (إن كيدكن عظيم)، فهيا استعيني بالله وابدئي معركة استرداد حقوقك بل واسترداد زوجك أيضا من اليوم، ابحثي عن فنون معاملة الزوج في الإسلام وتعلميها، اقرئي عن كل ما يفيدك في الوصول إلى هدفك، وربك القدير لا يعجزه شيء، فهو قادر على إصلاح الحال، واسترداد الحقوق.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

(٦)

ملكة

لها حقوق حتى عند الطلاق

شبكة الألوكة
www.alukah.net

إن الدنيا دار ابتلاء، وقد تصل الحياة الزوجية إلى مفترق طرق يلوح فيه شبح الفراق بالطلاق، عندما تصل الحياة بين الزوجين إلى طريق مسدود.

ولسنا هنا لنبحث عن الأسباب أو العلاج وإنما لنعرف حقوق المرأة التي وهبها الشرع للزوجة في تلك الأوقات العصيبة، فالقلوب متباعدة، والنفوس متنافرة، والشياطين حاضرة، وهنا من السهل ضياع الحقوق عندما يضيع الإيمان في النفوس.

قد تتراكم المشاكل وتتبدل المشاعر، ويتحول الحب إلى نفور، قد يتزوجها ثم يكتشف بعد ذلك أن طباعهما مختلفة، قد تختلف أسباب تبدل المشاعر تجاه الزوجة لكن المؤكد هو محاولة الشيطان لتأجيج لتلك النيران التي في العقول والصدور ليعجل من الفراق.

وهنا يأتي الشرع لينصب ميزان العدل، يأتي ليقول له ارفع ذلك المنظار الأسود من على عينك واسمح لشعاع النور أن يصل إليها، فإن نبيك المصطفى ﷺ يقول: «لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقا رضي منها آخر»[٨٣].

نعم لماذا تنظر إلى العيوب وتتجاهل المميزات؟ لماذا تبحث عن الكمال في بشر جبلوا على وجود النقص؟ لماذا لا تنظر إليها بعين الإنصاف؟ ذلك الغبار الذي تراه ويزعجك قد يخفي وراءه كنزا ثمينا ستندم إن ضاع منك فراجع نفسك.

ها هو رسول الله ﷺ ينهى الزوج عن البحث عن الكمال وتصيد الأخطاء، ويدعوه لتحكيم عقله لا عاطفته وانفعالاته المؤقتة، يدعوه أن يغفر سيئتها لما قدمته

[٨٣] رواه مسلم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

من حسنة، قد تكون قليلة الجمال من وجهة نظرك، لكنها مميزة بأخلاقها ودينها وصلاحها وعفافها وحفظها لفرجها، ذلك الجمال الخارجي كالقشرة تذبل مع مرور العمر حتى لا يبقى منه شيء مع تجاعيد الزمن، أما الجمال الحقيقي فهو جمال الروح والأخلاق فهل من عاقل يبيع الباقي من أجل الفاني؟

قد يضايقك اختلاف شخصيتكما، ومع ذلك لن تجد في حنانها وحرصها عليك، وإلخ.

هذا هو الإسلام الذي يُوجه من حولك للعدل والإنصاف في معاملتك في كل لحظة من حياتك، هذا هو الإسلام سندك الذي تشعرين بالاطمئنان ما دمت تعيشين في ظله.

إن من مقاصد الشريعة الإسلامية التي جاء الإسلام بها حفظ الضروريات الخمس، وهي حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ النسل والعرض، وحفظ المال. والزواج جاء لحفظ النسل والعرض وهو ميثاق غليظ له مكانته وأهميته العظمى في الإسلام، فوضع له قوانينا وحقوقا وواجبات لتنظيم هذه العلاقة وحفظها من الانهيار والضياع، فالأسرة هي اللبنة الأساسية للمجتمع وفي صلاحها واستقرارها صلاح واستقرار للمجتمع، ولذلك فمع أن الإسلام قد شرع الطلاق كعلاج أخير حينما تنعدم المودة والرحمة بين الزوجين إلا أنه يبغضه؛ لأنه يسبب شتات الأسر وكأنه يقول للزوجين إن الطلاق هو الحل الأخير إذا أُغلقت الأبواب بعد البحث عن كل سبل العلاج.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

فها هو يذكر الزوج بمحاسن الزوجة، ويحث الزوجين على حل مشاكلهما وإصلاح ما فسد بينهما، فإن تعذر ذلك، فقد أرشد الله تعالى إلى بعث الحكمين من أهلهما. فقال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلاحاً يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً خَبِيراً﴾[٨٤].

فيختاران حكمان من أهلهما من أصحاب العقل والحكمة، فإن لم يوجد في أهلهما بعث حكمان من غيرهما ممن يعرف بالثقة والأمانة للعمل على الإصلاح بينهما.

كما جعل قيودا على الطلاق فحرمه في ثلاث حالات:

- الطلاق أثناء الحيض
- الطلاق أثناء النفاس
- والطلاق في طهر (أي وهي طاهرة من الحيض والنفاس) وجامع الزوج امرأته فيه ولم تكن حاملا ولا آيسة أي بلغت سن انقطاع الحيض.

وإن كان محرما وفيه إثم إلا أنه يقع عند جمهور العلماء.

أتعرفين لماذا حرم الطلاق في هذه الحالات؟

من أجلك أنت، لأنه يراعي حالك أنت.

[٨٤] [النساء:٣٥]

شبكة الألوكة
www.alukah.net

فمن الحكم التي من أجلها حرم الشرع الطلاق أثناء زمن الحيض: أن فترة الحيض تجعل المرأة متخبطة المشاعر وغير متزنة نفسيا وقد يصدر منها ما يتسبب في الطلاق إن لم يفهم الزوج طبيعة نفسيتها بتلك الفترة، فلا يجوز للزوج أن يفارقها حتى تطهر، وتعود إلى نفسيتها وحالها ووضعها الطبيعي.

إن الإسلام يلتمس العذر لتقلباتك النفسية وقت الحيض، إنه دين الرحمة، دين يعرف حالات البشر النفسية ويراعيها.

أيضا دفع الضرر عن المرأة، إذ لو وقع الطلاق أثناء الحيض فإن المرأة ستظل ثلاثة أطهار وبعض أيام حيضها التي وقع الطلاق فيها، وهذا على قول من يقول: إن القرء هو الطهر.

أو تظل ثلاث حيضات وبعض حيضة على قول من يقول بأن القرء هو الحيض، ففي الحالين يلحق المرأة ضرر بتطويل عدتها.

وكذلك إذا كانت في طهر جامعها فيه، فلعلها حملت منه وهو لا يدري، وربما لو علم بالحمل لغير رأيه، وبذلك أيضا يكون قد أقدم على الطلاق بعد اقتناع وتفكير.

أيضا حرم الإسلام سؤال المرأة زوجها الطلاق أو الخلع من غير سبب: عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «أيما امرأة سألت زوجها الطلاق في غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة»[٨٥].

فقد نهى الشرع أن تطلب الزوجة الطلاق من زوجها من غير سبب حقيقي، فلا يجوز لها أن تفتعل المشاكل لأسباب واهية لتطلب الطلاق؛ لما ثبت في الحديث

[٨٥] رواه أصحاب السنن

شبكة الألوكة
www.alukah.net

السابق ، فذهب بعض العلماء إلى أنه مكروه وبعضهم إلى أنه حرام ، فلا تطلب المرأة الطلاق إلا إذا تضررت من البقاء في عصمة الزوج ضررا حقيقيا أو خافت ألا تقيم حدود الله .

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : " لا يحل للمرأة أن تسأل زوجها الطلاق إلا لسبب شرعي ، أما إذا كان هناك سبب شرعي بأن كرهته في دينه أو كرهته في خُلقه ، أو لم تستطع أن تعيش معه وإن كان مستقيم الخلق والدين ، فحينئذٍ لا حرج عليها أن تسأل الطلاق ، ولكن في هذه الحال تخالعه مخالعة ، بأن ترد عليه ما أعطاها ثم يفسخ نكاحها ".

هذا عن طلب الزوجة الطلاق من زوجها بدون سبب، فماذا عن الزوج؟

هل يجوز للرجل أن يطلق زوجته بدون سبب؟

يرى بعض العلماء أن طلاق الرجل زوجته من غير حاجة مكروه والبعض يرى أنه حرام.

قال القاضي فيه روايتان إحداهما : أنه محرم لأنه ضرر بنفسه وزوجته وإعدام للمصلحة الحاصلة لهما من غير حاجة إليه فكان حرامًا كإتلاف المال ؛ ولقول النبي ﷺ : (لا ضرر ولا ضرار).

ومع ذلك قد تستحيل العشرة بين الزوجين وتصل إلى مرحلة لابد فيها من الفراق، فتترك الملكة عرشها في مملكتها الخاصة التي بنتها بحبها. تلك الرقيقة التي يكسر الطلاق قلبها ويؤثر على نفسيتها، وفوق ذلك تتعرض لجلد المجتمع بسياطه التي لا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ترحم؛ فغالبا تكون النظرة المجتمعية للمطلقة نظرة ظالمة ليست من الشرع؛ فليس كل من طلقت كان ذلك لعيب فيها، فكم من امرأة طلقت بعد أن ذاقت من العذاب النفسي ألوانا بل والبدني أحيانا، فما ذنبها لأنها ابتليت بزوج لم يتق الله فيها، لماذا يجبرها المجتمع على الاختيار بين أمرين أحلاهما مر؟! أتعيش بين جحيم هذا الزوج الظالم، أم تنتقل لنيران المجتمع التي تلفح كل مطلقة بألسنة ونظرات لا ترحم؟

إن المطلقة قد تكون مميزة بأخلاقها ودينها، فهذه الصحابية الجليلة زينب بنت جحش رضي الله عنها لما طلقها زوجها زيد بن حارثة تزوجت من هو خير منه، رسول الله ﷺ فأصبحت إحدى أمهات المؤمنين.

وقد تفوق المطلقة غيرها في رجاحة عقلها بسبب تجربتها التي مرت بها، وهذه الصحابية الجليلة أسماء بنت يزيد التي أبهرتنا برجاحة عقلها وعرفت بالفصاحة والبيان وسميت بخطيبة النساء، كانت أول امرأة طلقت واعتدت في الإسلام، ولم يكن للنساء قبل ذلك عدة، فتقول عن ذلك فيما أخرجه أبو داود والبيهقي في سننه، قالت: "**طُلقت على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يكن للمطلقة عدة، فنزل قول الله تعالى:{وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ}..** [البقرة - ٢٢٨]، فكيف بعد ذلك ينظر المجتمع للمطلقة هذه النظرة الظالمة البعيدة عن الإنصاف؟

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وفوق ذلك قد تخرج من مملكتها وقد أُهدرت حقوقها وضاعت أحلامها، خصوصا إذا كان طليقها من الذين نزعت من قلوبهم الرحمة وغاب عنها خشية الرحمن واستولى عليها الشيطان، فهل سيترك الإسلام أمثالهم ليظلموها؟

بالطبع لا، ولذلك فقد كفل لها من الأحكام ما يحفظ لها حقوقها، وقد فصل ذلك في آيات كثيرة في كتاب الله تعالى.

ومن بين الآيات التي تحدثنا عن الطلاق في القرآن الكريم نجد آية عظيمة نحتاج إلى التوقف عندها: يقول الله تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖ﴾[٨٦].

فهل هناك فرق بين المعروف والإحسان؟

إن الإحسان أعلى منزلة من المعروف، فالمحسن لا ينتظر من الطرف المقابل شيئاً. إذا هذه هي القاعدة عند الطلاق (أو تسريح بإحسان)، ليس مجرد تسريح وطلاق دون أذى، وإنما بأداء للحقوق على أكمل وجه بل بدرجة أعلى من ذلك "بإحسان".

فكيف يكون تحقيق هذا الإحسان؟

حتى نعرف لابد أن نعرف الحقوق أولا التي على المطلق إعطاؤها لمطلقته بإحسان. تلك الحقوق التي تبين لنا عظمة هذا الدين ودقة تشريعاته، وأنه لم يترك

[٨٦] [البقرة: ٢٢٩]

شبكة الألوكة
www.alukah.net

تفصيلة تمس حياتنا إلا ووضع لها قواعد تناسب كل حالة ولم يترك الأمر لأهواء البشر، خصوصا في لحظات قد يضيع فيها الإنصاف والنفوس مشحونة بالبغضاء. فيأتي الشرع لينصب الميزان ويضع لنا قاعدة تقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[٨٧]، نعم مهما بلغ بينكما الشقاق فليس لهذا علاقة بالعدل وأداء الحقوق.

ولأن الأمر جد خطير، ولأن الإسلام دين عدل لا يظلم امرأة ولا رجلا، ولأن أسباب الطلاق قد تتباين، وحالات المطلقة قد تختلف فقد وضح حقوق كل حالة وكل سبب.

فما هي الحقوق التي قد ترغب المطلقة في الحصول عليها عند الطلاق؟

كثيرا ما يحصل الصدام والنقاش حول ما هو حق للزوجة أو للزوج عند الطلاق وكل منهما يحاول الخروج بأكبر قدر من المكاسب، نسوا أن الأمر ليس بيده ولا بيدها، وإنما هو شرع الله الذي حدد الحقوق، وهنا يظهر الإيمان والاستسلام لشرع الله.

ولعل أبرز ما يكون حوله الخلاف: المهر، الشبكة، القائمة، النفقة، المسكن، حضانة الأولاد،

[٨٧] [المائدة: ٨]

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ونريد أن نعرف حكم الشرع في كل ذلك. وكما قلنا ستختلف باختلاف السبب والحالة، فهيا بنا نبدأ مع أول حالة من حالات المطلقة.

المطلقة قبل الدخول بها

تلك الفتاة التي تم عقد قرانها وقبل الدخول بها حدث الخلاف وتم الطلاق، ما مصير مهرها وشبكتها الذهبية وما قامت بتجهيزه وقد يكون سبقها لعش الزوجية الذي لن يكون عشها بعد الآن؟ ما مصير تلك الهدايا التي حصلت عليها؟ هل سيكسر قلبها ويضيع حقها؟

لا يا ملكتي لن يضيع حقها بل ستعوض عن كسرة قلبها أيضا، فكامل ما اشترته هي أو أهلُها يكون لها، ولها نصف المهر، ونصف الشبكة إذا جرى العرف على أنها من المهر وهذا هو الغالب، أما إن كان العرف في بلد ما على أن الشبكة هدية ففي هذه الحالة تكون من نصيبها كلها.

قال تعالى: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾[88].

هذه هي الحقوق ولكن بقي الإحسان من الطرفين، بقي عدم نسيان الفضل، بقيت أخلاق المؤمنين، بقي العفو، فيستحب أن يعفو أحد الزوجين عن النصف الواجب له لصاحبه لقوله تعالى: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ

[88] [البقرة: ٢٣٧]

شبكة الألوكة www.alukah.net

ج
لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [٨٩].

وهي الآن حرة بلا شروط فلا عدة لها وإنما تستطيع الزواج فورا من غيره بمجرد الطلاق، فليس للزوج المطلق أن يراجعها إلى عصمته إلا بإذنها وبعقد ومهر جديدين، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [٩٠].

ولها أيضا حق المتعة: وهو: مال يدفعه الزوج لمن طلقها قبل الدخول بها، جبراً لخاطرها، وتعويض للمطلقة على ما أصابها بسبب الطلاق من ألم، وليرفع عنها وصف الإساءة وبمثابة شهادة بأن الطلاق ليس لعلة فيها، وإنما لعذر يخص المطلق وهي مال زائد على النفقة.

لقوله تعالى: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ [٩١].

كما تستحب المتعة في حق غيرها من المطلقات لعموم قوله تعالى: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ [٩٢].

[٨٩] [البقرة : ٢٣٧]

[٩٠] [الأحزاب : ٤٩]

[٩١] [البقرة:١٣٦]

[٩٢] [البقرة: ٢٤١]

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وهذا الحق المالي قد غفل عنه كثير من الناس، وقلَّ من يؤديه في هذا الزمن، الذي ضاعت فيه كثير من الحقوق بسبب الجهل بأحكام الدين. ورغم ذلك هيا يا ملكتي اطوي تلك الصفحة من حياتك وابدئي صفحة جديدة سعيدة بإذن الله.

المطلقة بعد الدخول بها

أما تلك التي تزوجت وانتقلت إلى عش الزوجية ثم حدث الطلاق فنقول لها لا تحزني فلعل ذلك هو الخير لك ولكن عليك أن تعلمي حقوقك التي كفلها لها الشرع لتحافظي عليها. وما دامت تلك هي الطلقة الأولى أو الثانية فهو طلاق رجعي يمكن أن ترجعي فيه إلى زوجك، ما زالت هناك فرصة لإصلاح الأمور وإنقاذ البيت، والإسلام يريد الإصلاح، يريد أن يظل كيان الأسرة قائما ولذلك أعطى فرصة للزوجين حتى وإن حدث الطلاق بالفعل.

فما هي هذه الفرصة؟

تلك الفرصة هي العدة، وفيها تتأكد المرأة من خلو الرحم فلا يحدث اختلاط الأنساب، ويُحفظ حق الحمل في حالة كانت المرأة حاملا، فإن للجنين حقوق وفي الإسلام لا مجال لضياع أي حق. تلك العدة التي تحترم ما كان بين الزوجين من معاشرة وأيام لا تخلو من جميل الذكريات، ولذلك حتى لو استحالت العشرة فلن

شبكة الألوكة
www.alukah.net

تنتقل الزوجة مباشرة إلى شخص آخر، بل لا بد من الانتظار والتمهل، ولكن هل تنتهي تلك الحياة الزوجية هكذا بكل بساطة؟!

إن للزواج شأن عظيم في الإسلام، ولا يتم عقده إلا بناء على شروط معينة، ولا يتم نقضه أيضًا إلا بشروط وتريث وتمهل، قد يحدث الطلاق في لحظة غضب ثم يندم الزوجين على ما بدر، وهنا جاءت العدة لتفتح باب الأمل لمراجعة النفس والتفكير وتدارك تلك اللحظة التي قد تكون سببا في الندم لسنين طويلة.

ولذلك لا تخرج المعتدة الرجعية من بيتها فترة العدة، نعم فما زال بيتها، ما زال مملكتها، وتخطئ عندما تغادره فترة العدة بعد الطلاق، بل هي تعصي ربها فهي مأمورة بالمكوث في بيتها وقت العدة من طلاق رجعي، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾[٩٣].

قال الطبري - رحمه الله -: "يقول: وخافوا الله أيها الناس ربكم، فاحذروا معصيته أن تتعدوا حده، لا تخرجوا من طلقتم من نسائكم لعدتهن من بيوتهن التي كنتم أسكنتموهن فيها قبل الطلاق حتى تنقضي عدتهن".

وقال ابن عاشور - رحمه الله -: "وفي إضافة البيوت إلى ضمير النساء إيماء إلى أنهن مستحقات المكث في البيوت مدة العدة بمنزلة مالك الشيء".

وخلال تلك الفترة فهي لا تزال زوجته وفي عصمته، بل يشرع لها التزين لتحمل الزوج على مراجعتها، ومن الفقهاء من جعله الأولى. مازالت هناك فرصة للحفاظ

[٩٣] [الطلاق: ١]

شبكة الألوكة
www.alukah.net

على هذا البيت من الهدم والأولاد من الضياع ودحر الشيطان خصوصا بعد أن هدأت النفوس قليلا وزالت ثورة الغضب التي تذهب العقول، وها هي المطلقة تستطيع استعادة زوجها في فترة العدة. هذا هو الإسلام الحريص على الحفاظ على كيان الأسرة ولذلك يعطي الفرصة تلو الفرصة.

ومع ذلك إذا كان لابد من الفراق بالطلاق وأُغلق باب العشرة بالمعروف فقد فتح باب التسريح بإحسان، وإذا كانت هناك حقوق للنكاح، فهناك حقوق أخرى للطلاق، فلها حق النفقة والسكنى فترة العدة إذا كان الطلاق رجعيا، قال تعالى: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[٩٤]، وقوله تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ﴾[٩٥].

ولها مهرها كاملا، ولا يحل للزوج أن يأخذ منه شيئاً إلا برضاها لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا * وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾[٩٦]، ولقوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾[٩٧].

بل لها حق الإرث فالمطلقة الرجعية، إذا مات زوجها في عدتها ترثه كغيرها من الزوجات، وحرمانها منه تعد على حدود الله، ولها كامل الحقوق المالية التي في ذمة الزوج: فلو اقترض منها مالا مثلا فعليه إرجاعه لها.

[٩٤] [البقرة:٢٣٣]
[٩٥] [الطلاق:٦]
[٩٦] [النساء: ٢٠، ٢١]
[٩٧] [البقرة: ٢٢٩]

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ولأن الإسلام ينظر للأمور نظرة العدل والإنصاف، فإن المطلقة طلاقا بائنا لا نفقة لها، ولا سكنى، إلا أن تكون حاملا ، روى مسلم عَنْ الشَّعْبِيِّ قَالَ دَخَلْتُ عَلَى فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ فَسَأَلْتُهَا عَنْ قَضَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهَا ، فَقَالَتْ : «طَلَّقَهَا زَوْجُهَا الْبَتَّةَ ، فَقَالَتْ : فَخَاصَمْتُهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي السُّكْنَى وَالنَّفَقَةِ ، قَالَتْ : فَلَمْ يَجْعَلْ لِي سُكْنَى وَلَا نَفَقَةً، وَأَمَرَنِي أَنْ أَعْتَدَّ فِي بَيْتِ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ» ، وفي رواية لمسلم أيضا : «قَالَتْ : فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : «لَا نَفَقَةَ لَكِ وَلَا سُكْنَى» . وفي رواية لأبي داود : «لَا نَفَقَةَ لَكِ ، إِلَّا أَنْ تَكُونِي حَامِلًا».

فلم يعد يربطهما رباط الزوجية ولا أمل للعودة خلال فترة العدة لأنه لا تجوز له شرعا وبذلك انقطع رباط الزوجية الذي بينهما فلم يعد عليه النفقة عليها وإنما رجعت تلك النفقة واجبة على أبيها أو أخيها أو وليها أيا من كان. ستظل مكرمة مهما حدث، وستظل تحت الرعاية والحماية في جميع أحوالها حتى لو انتقلت تلك الولاية من شخص لآخر تبعا للأحوال والظروف.

فماذا سيحدث لأبنائها؟ هل سينزعون من حضنها؟ هل ستبتعد عنهم؟

إنها الأم وما أدراكم ما الأم وعلاقتها بأبنائها، إنها نبع الحنان المتدفق ومصدر الأمان لأبنائها والحضن الذي يحتاجون إليه خاصة في سنواتهم الأولى. بدون أبنائها هي وردة ذابلة، فمن سيرعى أبناءها الصغار؟ ومن سيعتني بهم؟

وهنا يأتي الإسلام ليقول: ليس للزوج أن يأخذ منها فلذة كبدها وولدها بل هي الحاضنة له شرعا.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

عن عبد الله بن عمر أن امرأة أتت رسول الله ﷺ فقالت: «يا رسول الله إن ابني هذا كان بطني له وعاء وحجري له حواء وثديي له سقاء وزعم أبوه أنه ينزعه مني فقال: " أنت أحق به ما لم تنكحي»[٩٨].

رسول الله يقول لها أنت أحق بابنك من أبيه مالم تتزوجي، بل إذا تزوجت تنتقل الحضانة للجدة أم الأم، هذا ما يقوله رسول الله، ما يقوله دينكم، لا ما يقوله حال من يريد الانتقام على حساب الدين والحق، فيفرق بين الأم وابنها.

وأما السن التي تنتهي عندها الحضانة فقد اختلف الفقهاء فيها كثيراً، ولكل بلد قانون يضبط هذه المسألة حسب المذهب الذي يسير عليه. ورغم الخلاف يبقى الأصل وأن الحضانة للأم، بل لو كان رضيعا فلها حق النفقة في الحولين مدة الرضاع.

فمن أين ستنفق على أبنائها؟ هل ستخرج من خدرها لتعمل وتنفق عليهم؟

هل سيتركها الإسلام لتشقى وهي الملكة المعززة في جميع حالاتها؟

إن الإسلام يلزم الأب النفقة على أولاده، وتوفير المسكن والمأكل والمشرب والملبس ومصاريف الدراسة والعلاج لهم، وكل ما يحتاجون إليه، وهذا الحق لا يسقط حتى بالخلع ففيه تتنازل الزوجة عن حقوقها كافة: مؤخر الصداق المدون بعقد الزواج، نفقة العدة، ونفقة المتعة، بل ترد أيضا مقدم الصداق، بحسب ما

[٩٨] أخرجه أحمد والحاكم وصححه ووافقه الذهبي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

يتفقان عليه، فربما اتفقا على أكثر من ذلك المقدم لها أو أقل، أما حقوق الأطفال كاملة فلا تتأثر بالخلع أو الطلاق.

مع الإسلام لا يمكن أن تشعري إلا بالأمان، لن تحملي هم شيء وهو يرعاك ويدبر أمورك ويرعى حقوقك.

ولا يحل للرجل أن يضيق على زوجته حتى تتنازل عن حقوقها. إلا في حالة واحدة!

إذا أتت بفاحشة مبينة : كان له أن يعضلها لتفتدي منه، فليس من المنطقي أن تخونه وتنام على فراش غيره ثم تطالب بما تزعم أنه حقها!

هذه هي حقوق المطلقة سريعا أما تفصيلاتها فنجدها في كتب الفقه، هذه هي تعاليم الدين، هذا هو الإسلام، أما الواقع فمرير مؤلم- إلا من رحم ربي- ما نجده في المجتمع وبين الغالبية العظمى من حالات الطلاق أبعد ما يكون عن تعاليم الدين، بل إن معظم حالات الطلاق أصلا بسبب البعد عن تطبيق تعاليم الدين؛ لو طبق كل من الزوج والزوجة تعاليم الدين من حسن العشرة وأداء الحقوق، لو لم يستجيبا لمكائد الشيطان وانتبها لها لما ارتفعت نسب الطلاق بهذا الشكل العجيب الذي إن دل على شيء فهو يدل على البعد عن شريعة الإسلام وأخلاقه وما علمنا إياه أن الدين المعاملة.

يجعلون الطلاق بداية حرب وخراب تدمر كل شيء ولا تترك أخضرا ولا يابسا، كل ذلك من أجل انتقام شخصي ولو كان على حساب الدين والأبناء، فالمنتصر

شبكة الألوكة
www.alukah.net

في تلك المعركة بمقاييس الدنيا من تخلى عن تعاليم دينه، ونزع خشية الله من قلبه، وأصبح من جند الشيطان، ونسي حساب الآخرة، وعذاب النار، وما أعده الله لمن ظلم وبغى وأكل الحقوق، فكذب، وأنكر الحقوق، وجاء بشهود الزور. والأدهى والأمر استخدام الأبناء كسلاح بغيض يهدد به خصمه الذي كان يوما ما شريك حياته، ورفيق دربه، يزرعون في قلوب الأبناء كره الوالدين عوضا عن غرس بر الوالدين، وما يزرعون إلا شوكا وحنظلا سيكونون هم أول من يجنون ثمارها، ينسون أن الله قد يغفر ما بينه وبين العبد أما حقوق العباد فلا، كل من ظلمه لابد أن يقتص منه، هناك على قنطرة المظالم يوم القيامة، بل في الدنيا قبل الآخرة، قال ﷺ: «ما من ذنبٍ أجدرُ أن يعجِّل اللهُ تعالى لصاحبه العقوبةَ في الدنيا، مع ما يدِّخر له في الآخرةِ مثل البغيِ وقطيعةِ الرحمِ»[٩٩].

هل تشعر أنك انتصرت أيها الزوج أو أنك انتصرتِ أيتها الزوجة؟ هل استطعت أن تحرم أم أبنائك من حقوقها، أو فعلتِ أنت ذلك فأخذت ما ليس لك من حقوق بالباطل كذبا وزورا انتقاما؟

لا يمكن أن أقول لمن يفعل ذلك هنيئا لك هذا الانتصار المزيف، فما أكلته من أموال بغير حق هو نار تتأجج في البطون، ما فعلته لحرمان الأب أو الأم من أبنائهما هو ظلم وبغي ونار تتسعر على الظالمين يوم القيامة، تنام على الوسادة مبتسما

[٩٩] رواه أبو داود

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ابتسامة الشيطان، ومن ظلمته ساجد على سجادته يدعو، أو رافع يديه إلى الله في ثلث الليل الأخير يرجوه أن ينتصر له، فهل سيرده ربه خائبا؟!

لا والله هو المنتصر وأنت الخاسر في الدنيا والآخرة وإن ظهر غير ذلك، وفوق ذلك دمرت أبناءك وحرمتهم من العيش بنفسية سوية، فليتق الله كل من يفعل ذلك من الرجال أو النساء وليتذكر قول الله تعالى: (أو تسريح بإحسان).

إنها حقوق قد شرعها الله ثابتة في الكتاب والسنة، ومهما كانت أسباب من تعداها فهو يتعدى حدود الله وعرض نفسه لغضب الجبار الذي لا يرضى ظلم عباده. اللهم رد المسلمين إلى دينك ردا جميلا.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

(٧)

الأم

وما أدراك ما الأم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

نعيش مع حق آخر من حقوق المرأة في الإسلام، وهو حق واضح وضوح الشمس لا ينكره إلا معاند جاحد مكابر. هو حق من أعظم الحقوق في الإسلام، أكدت عليه الآيات والأحاديث في كثير من النصوص. حق لا ينازعك فيه أحد لأنه رد لجميل لا يستطيعه إلا أنت، ولم يتحمل مشقته إلا أنت، ولا يستحقه إلا أنت.

إنه حق الأم وما أدراكن ما الأم! مجرد سماع اسمها كفيل باستدعاء كل معاني الدفء، والحب، والحنان، والأمان. إنك أيتها الأم الوطن الذي يسكن إليه الأبناء، تكفي ضمة منك لتزيح كل الآلام، ومهما بلغ أبناؤك من الكبر عتيا، لا يمكن أن يستغنوا عنك طرفة عين وكأنهم أطفال صغار يشعرون بالأمان بقربك. كيف لا وأنت من تعبت وسهرت وربيت وتحملتِ المشاق، أنت من قدمت راحة أبنائك على راحتك، تتألمين لألمهم وتحزنين لحزنهم وتفرحين لفرحهم، إذا مرضوا مرضت معهم، وإذا درسوا درست معهم، وحتى إذا كبروا ورزقوا بالأبناء اعتنيت بأبنائهم. فلك دَين في رقبة أبنائك لا يقدرون على رده مهما فعلوا، والإسلام لا يمكن أن ينسى فضل أحد أبدا، ولذلك كان للأم من الحقوق ما ليس لأحد من البشر. كيف لا يحتفي الإسلام بك وأنت الأم؟!

أنت من اشتقت الأمومة من اسمك، تلك الأمومة التي غرسها الله عز وجل في قلب المرأة لتكون رمز العطف والحنان، مستعدة للتضحية بحياتها من أجل أبنائها.

ولما كانت الأم مصدر الحنان بالنسبة للولد ذكّر هارون أخاه موسى عليهما السلام بأمه حين غضب وأخذ برأسه، قال سبحانه: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ

شبكة الألوكة
www.alukah.net

أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي..﴾[100].

وفي موضع آخر قال: ﴿يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾[101].

فذكره بأمه هنا للاستعطاف والاسترحام فهي رمز الحنان والرحمة والشفقة.

أنت من أوصى بك ربك ، بل جعل تلك الوصية تالية للوصية بعبادته وتوحيده ، فما أعظمها من وصية ، وما أعظمها من منزلة !

وها هو الإسلام يحتفي بك أكثر وأكثر، ويرفعك إلى منزلة لا يصل إليها غيرك.

افخري أيتها الأم بإسلامك، فأنت من كرمك الإسلام وأعلى شأنك.

هل تدركين معنى أن يوصي بك ربك؟ قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾[102]، وكرر الوصية فقال سبحانه: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾[103].

هيا ارفعي رأسك، هيا افخري على العالمين، فأنت من يقدر الإسلام قدر معاناتك التي تحملتها في الحمل والولادة والتربية، أنت من يوصي بك ربك ويذكر أبناءك بتعبك، لم يشهد ابنك مشاق الحمل، وآلام الولادة، ولا استيقاظك من النوم

[100] [الأعراف: ١٥٠]
[101] [طه:٩٤]
[102] [لقمان: ١٤]
[103] [الأحقاف: ١٥]

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لإرضاعه، ولا سهرك عليه وهو مريض، ولا ما بذلتيه من أجله، ولكن ربك يذكره بكل ذلك في آيات تتلى آناء الليل وأطراف النهار لكي لا ينسى.

بل أوصى بك نبيك أيضا، وإذا كان الرجل قد فُضِّل على المرأة بالقوامة درجة، فقد فضلت الأم على الأب في البر بثلاث درجات، «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: أُمُّكَ قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ أُمُّكَ قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ أُمُّكَ قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ أَبُوكَ»[١٠٤].

فهذا الحديث يبيّن لنا أن الأم لها ثلاثة أضعاف ما للأب من حسن الصحبة، والمقصود بحسن الصحبة: حسن المعاشرة، والملاطفة، والإحسان، والبر، فإذا مررت بآية أو حديث يحدثنا عن بر الوالدين والتحذير من العقوق تذكري أن للأم فيهما أوفر النصيب.

ونريد أن نتوقف أولا عند آية عظيمة جمعت الكثير من المعاني والدروس حول معنى بر الوالدين.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (٢٤)﴾[١٠٥].

[١٠٤] رواه مسلم

[١٠٥] [الإسراء:٢٣- ٢٤]

شبكة الألوكة
www.alukah.net

أرأيتِ كيف قرن الله جل في علاه بين الأمر بعبادته وبر الوالدين؟ وقد اتفقنا على أن لك الحظ الأوفر من بر الوالدين، فكيف يكون هذا البر؟

تتحدث الآية هنا عن وصف وتشبيه رائع لمعنى البر، ولكنها بدأت بعد الوصية بالإحسان بلفتة عظيمة لابد أن نتوقف عندها، قال تعالى: {**إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا**}. (عندك) نعم عندك، إذا كبرت والدتك، إذا وهن العظم وضعفت الصحة واعتل الجسم فلتكن عندك، ليس في بيتها وحيدة وليس عندها أحد يرعاها، ليس في دور المسنين، تتألم وحدها على جحود أبنائها ونسيانهم ما فعلته من أجلهم، وإنما (عندك) وهذه الكلمة توحي بطول المكث، وقد يكون لذلك تبعات مع كبر السن من خدمة ورعاية خصوصا مع المرض، وبالتالي قد يحدث الضجر والتبرم.

كانت الأم تعتني بأبنائها بحب وسعادة والآن إذا احتاجت هي لتلك الرعاية قد تجد الضجر.

ولهذا تقول لنا الآية {**ولا تقل لهما أف**} لا تتأفف وتضجر.

أخرج ابن أبي حاتم وابن جرير وابن المنذر عن مجاهد رضي الله عنه في هذه الآية: **(فلا تقل لهما أف فيما تميط عنهما من الأذى: الخلاء والبول كما كانا لا يقولانه فيما كانا يميطان عنك من الخلاء والبول)!**

ليس مسموحا بأدنى كلمة قد تؤذيها، ليس مسموحا بأف فما بالكم بما فوقها، ما بالكم بالنهر ورفع الصوت والتنقيص من عقلها أو تفكيرها أو رأيها؟ إنها الأم التي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

تستحق كل مظاهر التكريم، من القول الكريم، والمعاملة الحسنة. فكيف يكون ذلك؟

قال الإمام الرازى ما ملخصه: "وقوله: (واخفض لَهُمَا جَنَاحَ الذل مِنَ الرحمة) المقصود منه المبالغة فى التواضع .

وذكر القفال فى تقريره وجهين:

- **الأول**: أن الطائر إذا أراد ضم فرخه إليه للتربية خفض له جناحه، ولهذا السبب صار خفض الجناح كناية عن حسن التربية، فكأنه قال للولد: اكفل والديك بأن تضمهما إلى نفسك كما فعلا ذلك بك في حال صغرك.
- **والثاني**: أن الطائر إذا أراد الطيران والارتفاع نشر جناحه، وإذا أراد ترك الطيران وترك الارتفاع خفض جناحه، فصار خفض الجناح كناية عن التواضع".

هذا هو البر، اخفض جناحك لأمك، بل لأبويك يزداد علوك وارتفاعك في السماء، ويقول الأستاذ محمد ربيعة في تدبر هذه الآية: "**يتمثل بجلوسك بين يدي والديك في جلسة خضوع وذلة مستمعا مصغيا لا ترفع فوقهما صوتا ولا تقدم عليهما رأيا**". هل رأيت كيف يوصي الإسلام أبناءك بك؟

ثم تذكرنا الآية بفضل الوالدين على الإنسان وهو صغير حينما كان بحاجة إلى الرعاية والحنان والرحمة، وتعبهما في التربية فيقول تعالى: {**وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا**}.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

دينك يؤكد على الإحسان بك في لحظات ضعفك عند الكبر، الآن أنت من تحتاجين للعناية والرعاية، أديت دورك في التربية والرعاية وأبناؤك صغار عندما كانوا محتاجين إليك، والآن عند ضعف الكبر حان رد الجميل عندما تحتاجين إليهم؛ ولذلك يأمره أن يقول في الدعاء لهما: يا رب ارحمهما برحمتك الواسعة جزاء ما بذلا من رعاية لي في صغرى أو مثل ما بذلاه من الرعاية لي في صغري. شكر بالقلب يترجمه إلى تواضع بالفعل ودعاء بالقول، إنها رعاية متكاملة تشمل كل الجوارح.

وما يفعله أبناؤك من أجل برك هو أحب الأعمال وأقربها إلى الله تعالى: عن أبي عمرو الشيباني يقول: أخبرنا صاحب هذه الدار، وأومأ بيده إلى دار عبد الله، قال: «سألت النبي ﷺ: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: الصلاة على وقتها، قال: ثم أي؟ قال: بر الوالدين، قال: ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله، قال: حدثني بهن، ولو استزدتَه لزادني»[١٠٦].

من أراد التقرب لله عليه برِك، ومن أراد رضا الله فعليه برك؛ قال رسول الله ﷺ: «رضا الله في رضا الوالدين، وسخط الله في سخط الوالدين»[١٠٧]. فأي شأن عظيم عند الله شأنك؟

ومن أسباب دخول الجنة أيضا تكفير الذنوب، بل والكبائر، والسبيل إلى ذلك بر الوالدين، نعم من أراد من أبنائك أن يغفر الله له ذنوبه فعليه برك؛ عن ابن عمر: «أن رجلًا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إني أصبت ذنبًا عظيمًا، فهل لي

١٠٦ متفق عليه
١٠٧ رواه ابن ماجه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

توبة؟ قال: هل لك من أمٍّ؟ قال: لا، قال: هل لك من خالة؟ قال: نعم، قال: فبرَّها»[١٠٨].

وقال رجل لعبد الله ابن المبارك رضي الله عنه: "إني قتلتُ نفسًا، فهل لي من توبة؟"، قال: "ألك أبوان؟"، قال: "أمي حيةٌ"، قال: "الزمها وبرها، واجعل التراب على رأسك، وابكِ على نفسك ما بقيت، وإياك أن تيأس من رحمة الله؛ فإنك إن أيست من رحمة الله، كان أعظم عليك من هذا الذنب الذي ركبته".

ومن أراد أن يزيد عمره زيادة حسية حقيقية أو معنوية بالبركة فيه فعليه برك؛ قال رسول الله ﷺ: «لا يزيد في العمر إلا البر، ولا يردُّ القدر إلا الدعاء، وإن الرجل ليُحرم الرزق بالذنب يصيبه»[١٠٩].

ومن أراد أن يفرج الله كربه فعليه برك؛ قال النبي ﷺ: «بينما ثلاثة نفر يمشون، أخذهم المطر، فأوَوا إلى غار في جبل، فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل، فانطبقت عليهم، فقال بعضهم لبعض: انظروا أعمالًا عمِلتموها صالحةً لله، فادعوا الله بها؛ لعله يفرجها عنكم، قال أحدهم: اللهم إنه كان لي والدان شيخان كبيران، ولي صبية صغار، كنت أرعى عليهم، فإذا رحت عليهم حلبت، فبدأت بوالدي أسقيهما قبل بَنيَّ، وإني استأخرت ذات يوم، فلم آتِ حتى أمسيتُ، فوجدتهما ناما، فحلبتُ كما كنت أحلب، فقمت عند رؤوسهما أكره أن أوقظهما، وأكره أن أسقيَ الصبية، والصبية يتضاغَون عند قدمي حتى طلع الفجر، فإن كنت تعلم

١٠٨ رواه الترمذي
١٠٩ رواه ابن ماجه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

أني فعلتُهُ ابتغاء وجهك، فافرج لنا فرجةً نرى منها السماء، ففرج الله، فرأوا السماء ...»[١١٠].

ولا ينقطع البر بعد موتك، بل برك موصول يصلك في قبرك بالدعاء قال ﷺ: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»[١١١].

ومن أبر البر بعد موت الأم أن يبر الأبناء صديقات أمهم ويكرمونهن، والوفاء بوصية الأم، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بها في حياتها الدنيا، فعن أبي أسيد مالك بن ربيعة الساعدي - رضي الله عنه - قال: بينا نحن عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل من بني سلمة فقال: **يا رسول الله، هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما؟ قال:** «نعم.. الصلاة عليهما والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما، وإكرام صديقهما»[١١٢].

حث على تكريمك وبرك نجده مبثوث في آيات وأحاديث كثيرة، وإذا كان الإحسان مطلوبا لبرك، فكف الأذى عنك مطلوب أيضا، فليس من المسموح أن يمسك أحد أيتها الأم بأدنى مكروه مهما كان، فكل ذلك من العقوق، ومن فعله عرَّض نفسه للوعيد الشديد.

[١١٠] متفق عليه
[١١١] رواه مسلم
[١١٢] رواه أبو داود

شبكة الألوكة
www.alukah.net

فقد حذر المصطفى ﷺ من عقوق الأمهات، فَعَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الْأُمَّهَاتِ ، وَوَأْدَ الْبَنَاتِ ، وَمَنْعًا وَهَاتِ ، وَكَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ»[١١٣].

نعم عقوقك حرام سواء أكان بالقول أو الفعل، أنت لك قدرك، أنت لك شأنك، أنت ملكة ليس لك إلا أعظم التكريم الذي لم يحصل عليه أي بشر، فأنت الأم، ولذلك فإن العاق يُحرَم من دخول الجنة، لقول الرسول ﷺ: «لا يدخل الجنة عاقٌّ، ولا منّانٌ، ولا مُدمن خمر»[١١٤].

ولا تظني أن العقوق يقتصر على الأمور الكبيرة والعظيمة التي يفعلها أبناؤك وتؤذيكِ، بل إن الله نهاهما عن أدني شيء قد يؤذي مشاعرك، ويسبب ألمك ويُجري دموعك، فإن دَمعتك غالية، جاء رجلٌ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقال جِئتُ أُبَايِعُك علَى الهِجرةِ وتركتُ أبويَّ يبكِيَانِ فقال : «ارجِع إليهِما فأضْحِكْهُما كما أبكيْتَهُما»[١١٥].

محظور إيذاؤك بالفعل، أو القول، أو النظرة، أو العبوس ومن يفعل ذلك معرض للعقوبة في الدنيا قبل الآخرة، قال رسول الله ﷺ: «ما من ذنبٍ أجدرُ أن يعجِّل اللهُ تعالى لصاحبه العقوبةَ في الدنيا، مع ما يدِّخر له في الآخرةِ مثل البغيِ وقطيعةِ الرحمِ»[١١٦].

[١١٣] متفق عليه
[١١٤] رواه النسائي
[١١٥] رواه أبو داود
[١١٦] رواه أبو داود

شبكة الألوكة
www.alukah.net

أنت المعترف بحقك وفضلك في الإسلام، عن أبي بردة قال: "إن رجلاً من أهل اليمن حمل أمه على عنقه، فجعل يطوف بها حول البيت، وهو يقول:

إني لها بعيرها المدلل إذا ذعرت ركابها لم أذعر

ثم قال لابن عمر رضي الله عنهما: أتراني جزيتها؟ فقال ابن عمر رضي الله عنهما: لا، ولا بزفرة واحدة من زفرات الولادة"، أي ولا طلقة واحدة من طلقات الولادة.

وقال رجل لعمر بن الخطاب: "إن لي أمًّا بلغ منها الكبر، أنها لا تقضي حاجتها إلا وظهري لها مطية (أي أنه يحملها إلى مكان قضاء الحاجة) فهل أديت حقها؟ قال عمر: لا، لأنها كانت تصنع بك ذلك وهي تتمنى بقاءك، وأنت تفعله وتتمنى فراقها".

حتى الجهاد إذا كان فرض كفاية لا يجوز إلا بإذنك، جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أردت أن أغزو وقد جئت أستشيرك فقال: «هل لك من أم» ؟ قال : نعم. قال : « فالزمها فإن الجنة عند رجليها »[١١٧].

وكانت بعض الشرائع تهمل قرابة الأم، ولا تجعل لها اعتباراً، فجاء الإسلام يوصى بالأخوال والخالات، كما أوصى بالأعمام والعمات.

دعوتك لأبنائك مستجابة، قَالَ: رسولُ الله ﷺ: «ثلاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَات لاَ شَكَّ فِيهِنَّ : دَعْوَةُ المَظْلُومِ ، وَدَعْوَةُ المُسَافِرِ ، وَدَعْوَةُ الوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ»[١١٨].

[١١٧] رواه النسائي
[١١٨] رواه الترمذي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

فأكثري من دعواتك لهم بالهداية والفلاح واحذري من الدعاء عليهم في لحظة غضب؛ فكم من أم دعت دعوة على ابنها في لحظة غضب ندمت عليها طول عمرها، قال رسول ﷺ: «لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على خدمكُم، ولا تدعوا على أموالكُم، لا تُوافقُوا من اللهِ تعالى ساعة نيْلٍ فيها عطاء فيستجيب لكم»[١١٩].

أما الدعاء عليهم ظلما بغير حق فلا يستجيبه الله؛ فربك لا يظلم أحدا وما أعطى بشرا حقا ليستخدمه فيما لا يرضي الله عز وجل، وربنا العدل يعلم أن لكل قاعدة استثناء، وأن هناك من الأمهات من تجردت من مشاعر الأمومة واستبدلت رقة القلب قسوة، واستبدلت الحنان بالغلظة وسوء الطبع، وما كان ربك ليظلم أحدا، وما كان لربك الذي أعطى الأم فضل إجابة الدعاء لأبنائها أو عليهم أن يستجيب لها دعوة ظالمة بغير حق.

إن دعوات الأم تفتح لها أبواب السماء، فاختاري كلمات دعواتك لأبنائك حتى لاتندمي

هل تتعجبين؟ لمَ العجب؟ فهذه أنت، هذه مكانتك، هذه منزلتك، وسيراعي الإسلام أمومتك وعاطفتك تجاه أبنائك، فها هو يجعل الأم المطلقة أحق بحضانة أولادها وأولى بهم من الأب؛ أَتَتِ امرأة النبيَّ ﷺ فقالَتْ يا رسولَ اللهِ ابْنِي هَذَا كانَ بَطْنِي لَهُ وِعَاءً وحَجْرِي له حِوَاءً وثَدْيِي لَهُ سِقَاءً وزَعَمَ أَبوهُ أَنَّهُ يَنْزِعُهُ مِنِّي قال: «أنتَ أَحَقُّ بِهِ مَا لم تَنْكِحِي»[١٢٠].

[١١٩] رواه أبو داود بإسناد صحيح
[١٢٠] رواه الترمذي وأحمد

شبكة الألوكة
www.alukah.net

واختصم عمر وزوجته المطلقة إلى أبى بكر في شأن ابنه عاصم فقضى به لأمه، وقال لعمر: «**ريحها وشمها ولفظها خير له منك**».

وجعل قرابة الأم أولى من قرابة الأب في باب الحضانة.

بل إن من عجيب ما جاء به الإسلام أنه أمر ببر الأم، حتى وإن كانت مشركة؛ فقد سألت أسماء بنت أبي بكر النبي ﷺ عن صلة أمها المشركة، وكانت قدمت عليها، فقال لها: «**نعم، صلي أمك**».

صليها ولو كانت مشركة والشرك أعظم ذنب، الشرك لا يغفره ربك، الشرك ذلك الجرم في حق الله تعالى، فكيف بمن كانت مسلمة؟ وإذا كانت قد أساءت إليك فأي الإساءة أعظم؟ ما كان في حق البشر أم ما كان في حق رب البشر؟

إن الإسلام عندما أوصى أبناءك بك فهو أيضا يوصيك بأمك، سلسلة متصلة من البر لا تنتهي حتى وإن كانت تلك الأم قاسية أو ظالمة فإياك إياك من العقوق وعليك بالبر قدر المستطاع، ولن يضيع برك رغم ألمك، بل سيكون ثوابه مضاعفا بإذن الله فالأجر على قدر المشقة، وما أقسى أن تقدمي البر لمن ظلمك أو أساء معاملتك.

وهنيئا لك الثواب وهنيئا لك بر أبناءك بك لأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا.

لله درك أيتها الأم، لقد استحققت كل هذا التكريم لتعبك ومشقتك وتضحياتك من أجل أبنائك ولأهمية وظيفتك ودورك العظيم في إصلاح الأسرة والمجتمع، بل والأمة كلها،

شبكة الألوكة
www.alukah.net

فهل تعرفن ما هي وظيفة الأم التي من أجلها نالت كل هذا التكريم؟

عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «**كلُّكم راعٍ، وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيَّتِه، والأمير راعٍ، والرجل راعٍ على أهل بيته، والمرأة راعية على بيت زوجها وولدِه، فكلُّكم راعٍ، وكلُّكم مسؤول عن رعيَّتِه**»[١٢١].

وانطلاقا من هذا الحديث عند تحديد مسئولية المرأة في بيتها، يظن البعض أن وظيفة الأم في الأسرة تتمحور حول الحمل والإنجاب والرضاعة ومتابعة نظافة الأبناء وصحتهم ودراستهم وهو ليس بالأمر الهين أبدا، بل يعتبر وظيفة من أعظم الوظائف وأكثرها مشقة وتعبا ولذلك عرفنا كيف يذكرنا الإسلام بها في أكثر من موضع من نصوص الشرع، ولكن سيبقى الجزء الأعظم والأهم والأصعب في هذه الوظيفة وهي التربية. وليست أي تربية، بل تربية جيل مسلم ينشأ على طاعة الله، ويستطيع بما غرسته الأم فيه- بعد فضل الله تعالى- أن يتغلب على الفتن ويصمد أمامها.

تربية تقوم على غرس رقابة الله في النفوس، فبدلا من نهيهم عن الفعل لأنه عيب، تنهاهم عنه لأنه حرام أو مكروه أو مخالف لهدي النبي ﷺ، تربطهم بالله في كل أفعالهم وأقوالهم، تحببهم في العبادة والذكر

ويحضرني هنا قصة كنت قرأتها على لسان إحدى الأخوات فتقول:

[١٢١] متفق عليه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

كنت في زيارة لإحدى صديقاتي في بيتها، وأتت إلينا طفلتها التي لم تكمل عامها الثالث، وقفت خلف أمها لتشد فستانها قائلة: أمي لم نبنِ اليوم قصراً في الجنة؟

اعتقدت أنني سمعتها بالخطأ إلا أن الفتاة كررتها، ثم وقف إخوتها إلى جانبها وأخذوا يرددون ما قالته أختهم الصغيرة.

رأت الأم الفضول في عيني فابتسمت، وقالت لي: أتحبين أن تشاهدي كيف أبني قصراً في الجنة أنا وأبنائي؟

فوقفت أراقب ما سيفعلونه جلست الأم وجلس أولادها حولها أعمارهم تتراوح بين العاشرة إلى الثالثة، جلسوا جميعهم مستعدين ومتحمسين بدأت الأم وبدأوا معها في قراءة سورة الإخلاص.

(قل هو الله أحد .. الله الصمد .. لم يلد ولم يولد .. ولم يكن له كفواً أحد).

ثم كرروها عشر مرات

عندما انتهوا صرخوا بصوت واحد فرحين: الحمد لله بنينا بيتاً في الجنة.

سألتهم الأم: وماذا تريدون أن تضعوا في هذا القصر؟

رد الأطفال نريد كنوزاً يا أمي، فبدأوا يرددون لا حول ولا قوة إلا بالله، لا حول ولا قوة إلا بالله

ثم عادت فسألتهم: من منكم يريد أن يرد عليه الرسول ﷺ السلام ويشرب من يده شربة لا يظمأ بعدها أبداً.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

فشرعوا جميعهم يقولون: اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد

تابعوا بعدها التسبيح والتكبير والتهليل، ثم انفضوا كلٌ إلى عمله، فمنهم من تابع مذاكرة دروسه، ومنهم من عاد إلى مكعباته يعيد بنائها.

فقلت لها كيف فعلتِ ذلك؟

قالت أبنائي يحبون جلوسي بينهم ويفرحون عندما أجمعهم وأجلس وسطهم فأحببت استغلال ذلك بأن أعلمهم وأعودهم على ذكر الله، فأحببت أن أنقل لهم هذه الأحاديث وأعلمها لهم بطريقة يمكن لعقلهم الصغير أن يفهمها، فهم يروون القصور في برامج الأطفال ويتمنون أن يسكنوها، ويشاهدون أبطال الكرتون وهم يتصارعون للحصول على الكنز.

هذه الأم ستثاب عندما يردد أحد أبنائها هذه الأذكار حتى بعد ممات الأم، وكأنها صدقة جارية، وهي أفضل استثمار لها في الدنيا، فلنتعلم منها".

ومازال التاريخ يسطر بحروف من نور أدوارا لأمهات صنعن رجالا. نشأ الإمام البخاري يتيما في كنف أمه، فقامت بتربيته أفضل تربية، وتعهدته بالرعاية والدعاء ودفعته للعلم والصلاح، ورحلت به في سن السادسة عشر إلى مكة للحج، ثم تركته هناك ليطلب العلم بلسان قومه، ليرجع البخاري أمير أهل الحديث، ذلك الذي يقول عنه أستاذه: "ليس أحد أفضل منه!".

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وهذه أم الإمام مالك دفعت ابنها لحفظ القرآن الكريم فحفظه وأرسلته إلى مجالس العلماء.

يروي ابن أبي أويس عن أم مالك ابن أنس قائلا: سمعت خالي مالك بن أنس يقول: كانت أمي تلبسني الثياب، وتعممني وأنا صبي، وتوجهني إلى ربيعة بن أبي عبد الرحمن، وتقول: "يا بني! ائت مجلس ربيعة؛ فتعلم مِن سمته وأدبه، قبل أن تتعلم مِن حديثه وفقهه". فأصبح إمام دار الهجرة وإماما من أئمة المسلمين.

ويبين الإمام أحمد كيف تفرغت أمه لرعايته وتنشئته على حب العلم بعد وفاة والده محمد بن حنبل فيقول:"**حفظتني أمي القرآن وعمري عشر سنوات وكانت توقظني لصلاة الفجر وتُحمي لي ماء الوضوء في ليالي بغداد الباردة، وتُلبسني ملابسي، ثم تتخمر وتتغطى بحجابها، وتذهب معي إلى المسجد وتنتظر عند باب المسجد حتى أنتهي من الصلاة ثم أعود معها، فلما بلغت السادسة عشرة من عمري قالت لي: اذهب في طلب الحديث فإن السفر في طلب الحديث هجرة إلي الله الواحد الأحد، وودعته عند السفر قائلة: يا بني ! إن الله إذا استودع شيئاً لا يضيعه، فأستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه**". وما هي إلا سنوات إلا ويصبح هذا الابن الصغير إمام أهل السنة والجماعة، وكان كثيرا ما يحدث الناس بفضل أمه عليه وما قامت به لتربيته وإعداده ليكون عالماً من علماء المسلمين.

ولنقرأ رسالة والدة شيخ الإسلام ابن تيمية إليه، بعد أن أرسل لها يعتذر عن إقامته بمصر بعيدا عنها، لأنه يرى ذلك أمراً ضروريا لتعليم الناس الدين. فأرسلت إليه: "والله لمثل هذا ربيتك، ولخدمة الإسلام والمسلمين نذرتك، وعلى شرائع الدين

شبكة الألوكة
www.alukah.net

علمتك، ولا تظنَّ يا ولدي أن قربك مني أحب إليَّ من قربك من دينك وخدمتك للإسلام والمسلمين في شتّى الأمصار، بل يا ولدي إنَّ غاية رضائي عليك لا يكون إلا بقدر ما تقدمه لدينك وللمسلمين، وإني يا ولدي لن أسألك غداً أمام الله عن بعدك عني، لأني أعلم أين، وفيم أنت، ولكن يا أحمد سأسألك أمام الله وأحاسبك إن قصّرت في خدمة دين الله، وخدمة أتباعه من إخوانك المسلمين".

هل رأيتن عظمة تلك الملكة بحق!

وهذه أم سفيان الثوري رحمه الله التي حرصت على تنشئته على الأخلاق الحميدة وحب العلم، فعن وكيع قال: "قالت أم سفيان لسفيان: "اذهب فاطلب العلم، حتى أعولك بمغزلي، فإذا كتبت عدة عشرة أحاديث، فانظر هل تجد في نفسك زيادة، فاتبعه. حتى أصبح إماما من أئمة الحديث النبوي، وواحدا من تابعي التابعين، وصاحب واحد من المذاهب الإسلامية المندثرة، قال عنه الذهبي: "هو شيخ الإسلام، إمام الحفاظ، سيد العلماء العاملين في زمانه". وهو القائل: "ينبغي للرجل أن يكره ولده على طلب الحديث، فإنه مسئول عنه".

وكانت أم السلطان محمد الفاتح تأخذه وهو صغير وقت صلاة الفجر؛ لتريه أسوار القسطنطينية وتقول له: "أنت يا محمد تفتح هذه الأسوار اسمك محمد كما قال رسول الله صلي الله عليه وسلم"، والطفل الصغير يقول: "كيف يا أمي أفتح هذه المدينة الكبيرة ؟!" فتقول بحكمة: "بالقرآن والسلطان والسلاح وحب الناس". فكان هو من فتح القسطنطينية.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ويقول الشيخ بديع الزمان النورسي، الذي يوصف بأنه مجدد الإسلام في بلاد الأناضول في العصر الحديث، يقول بعد أن يذكر عن والدته أنها لم تكن ترضع أولادها إلا على وضوء، يقول: "أقسم بالله إن أرسخ درس أخذتُه وكأنه يتجدد عليَّ، إنما هو تلقينات أمي رحمها الله ودروسها المعنوية، حتى استقرتْ في أعماق فطرتي، وأصبحتْ كالبذور في جسدي في غضون عمري الذي يناهز الثمانين، رغم أني قد أخذت دروسًا من ثمانين ألف شخص؛ بل أرى يقينًا أن سائر الدروس إنما تبنى على تلك البذور".

وما هذا إلا نماذج قليلة يزخر تاريخنا الإسلامي بأضعافها، نماذج لأمهات أدركن دور الأمهات في إعداد العظماء وتأثيرهن على أبنائهن، إنهن بحق صانعات الرجال.

ولو ذكرنا المزيد من الأمثلة لطال بنا المقام، وصدق من قال: "**وراء كل عظيم امرأة**"

فليست وظيفة الأم محصورة في إعداد المأكل والمشرب ولا تنظيف المنزل فقط، بل وظيفتها الأساسية أن تكون مربية الأجيال، وصانعة الرجال، والمدرسة الأساسية لأطفالها، وصدق من قال:

الأم مدرسة إذا أعددتها *** أعددتَ شعبًا طيب الأعراق

الأم روض إن تعهـده الحيا *** بالـري أورق أيما إيـراق

الأم أستاذ الأساتذة الألى *** شغلت مآثرهم مدى الآفاق

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وما ضاعت الأمة إلا عندما تركت الأم دورها الحقيقي في صناعة الرجال والأمجاد، عندما أطلق الأعداء شعارات براقة تخطف الأبصار بل البصيرة، نخدعوها واعتبروا قيامها بهذه الوظيفة في بيتها هو تعطيل لنصف المجتمع، ونشروا السموم في العقول وأعلنوا حربا ضروسا - بجهل أو سوء نية- ولكن النتيجة واحدة، وهي دمار الأمة، وأن نرى شباب الأمة وفتياتها يعيشون الضياع الديني والفكري والأخلاقي إلا من رحم ربي.

غابت رقابة الأم على أبنائها، ودورها في التوجيه والتربية وغرس القيم، لأنها مشغولة عنهم بما تراه أهم؛ فالطعام متوفر والمنزل نظيف وهذا مدرس يدخل المنزل وآخر يخرج، ولكن أين غذاء الروح؟ أين تنظيف النفوس؟ أين تعليم الدين والأخلاق؟ أين التوجيه والمتابعة؟

إن الإسلام لم يُحَرِّم عمل المرأة، بل جعل بعض المهن فرض كفاية، نحتاج إلى الطبية والمعلمة والممرضة وغيرها من المهن التي تليق بالمرأة وأنوثتها، ويذخر التاريخ بنماذج فذة لنساء كان لهن السبق في مختلف المجالات؛ فهذه الشفاء أول طبيبة في الإسلام، وتلك أمة الواحد بنت الحسين بن إسماعيل التي كانت من أفقه الناس في المذهب الشافعي، وكانت على علمٍ بالفرائض والحساب والنحو، وكانت تفتي ويكتب عنها الحديث، وهذه الخنساء الأديبة والشاعرة، التي ربت أبناءها على الشهادة في سبيل الله فاستشهدوا جميعا. ولكننا لم نجد منهن من تَعارضَ ذلك مع أداء وظيفتها الأساسية في تربية الأبناء وإعداد جيل مسلم، وهذا هو النجاح

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الحقيقي، كم من امرأة بلغت أعلى المناصب التي لم يصل لها الرجال ولكنها لا تعلم عن أبنائها شيئا، تركتهم لدور الحضانة أو الخادمات أو حتى عند الجدات والأخوات، بنت حاجزا بينها وبين أبنائها لا تهدمه الأموال ولا المكانة الاجتماعية التي وصلت لها، وكانت معولا في هدم الأمة. هناك عشرات، بل مئات المهندسين الذين يستطيعون بناء بيت أو الأطباء الذين يستطيعون تقديم علاج لمريض، ولكن أبناءك لديهم أما واحدة لو غابت عنهم تاهوا، ولو تركتهم ضاعوا، وهكذا ضاعت الأمة ولن تعود إلا إذا عاد دور الأم من جديد.

هل علمت قيمتك ودورك العظيم في الإسلام أيتها الملكة؟ هيا ارتدي تاجك من جديد، فنحن لا نستغني عنك، بل الأمة كلها لا غنى لها عنك، وفي انتظارك أن تعودي لمكانك الحقيقي ودورك العظيم، ولا تسمحي للمخادعين الذين يوهمونك بأنهم يدافعون عن حقوقك أن يخدعوكِ، أن ينزلوك عن عرشك ومملكتك ويشككوك في دورك وقيمتك، ويصرفوك عن وظيفتك الحقيقية ويقللوا من شأنها. فأنت مصنع الرجال، وأنت أمل الأمة. أنت الأم وما أدراك ما الأم وما منزلتها وما مكانتها في الإسلام! وإذا كان الإسلام قد كرم الأم، فلابد من التذكير أن هذه الأمومة رزق يؤتيه الله من يشاء، قال تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾[١٢٢].

[١٢٢] [الشورى: ٤٩-٥٠]

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وما هذا إلا لحكمة يعلمها سبحانه وإن غابت عنا، فلا تحزني إن تأخرت تلك الأمومة قليلا أو غابت كثيرا، فلعله الخير لك وأنت لا تدرين، وهيا انشري أمومتك وغريزتك تلك على أبناء المسلمين، فكم من طفل يتمنى أما حانية فقدها فكوني أنت الأم الحانية، قد تكونين أنت الأم المربية التي افتقدها، قد تكونين أنت سببا في صلاح الأمة بما تغرسينه وتعلمينه لأبناء المسلمين، فهنيئا لك غرسك الذي ستغرسينه.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الخاتمة

وهكذا تستمر سلسلة تكريم الإسلام للأنثى في كل مراحل حياتها، والذي أعطاها حقوقها وجعلها في المكانة والمنزلة التي تليق بها ، وإذا كان البعض قد حاولوا تشويه هذه المنزلة وإنكارها بسبب سلوكيات بعض المسلمين ، إلا أن هذا لن يستطيع حجب الحقيقة ؛ فنصوص القرآن والسنة واضحة ، والتطبيق العملي لهذه النصوص ثابت في أفعال النبي ﷺ، وما علينا إلا نشر الوعي بحقوق المرأة بين المسلمين وغير المسلمين ، والرد على الشبهات التي يثيرها أعداء الإسلام حول المرأة .

فلا تسمحي لأحد نزع تاجك منك، ذلك التاج الذي من العجب أن تأباه بعض النساء وتنزعه بيدها عن رأسها؛ تفعل ذلك عندما تعمي بصرها عن رؤية حقيقة أنها ملكة وعن الشعور بقيمتها؛ عندما تسمح لبعض أفراد المجتمع الذين ما زالوا متشبعين بأفكار جاهلية أن يفقدوها ثقتها بنفسها، يحدث ذلك عندما تغطي قلبها وعقلها بأستار الجهل بمنزلتها في الإسلام. أنت ملكة فحافظي على تاجك لآخر يوم في عمرك، فهيا البسي تاجك ولا تنزعيه مرة أخرى.

وبهذا نكون قد مررنا سريعا على بعض حقوق المرأة في الإسلام وانتهينا من الجزء الأول من هذه السلسلة، وفي الجزء الثاني بإذن الله نحاول الإجابة على بعض الشبهات المتعلقة بالمرأة في الأحاديث النبوية.

شبكة الألوكة
www.alukah.net